ريتشارد رورتي: نَحْوَ فَلسَفَةٍ بِلا مَرايا.

د. عَلي عَبّود المُحَمَداوي

مُدَرِسُ الفَلسَفَةِ في كُلِيّةِ الآدابِ – جامِعَةُ بَغدَاد

ريتشارد رورتي: نَحْوَ فَلسَفَةٍ بِلا مَرايا.

د. عَلي عَبّود المُحَمَداوي

مُدَرِسُ الفَلسَفَةِ في كُليَّةِ الآدابِ – جامِعَةُ بَغدَاد

ريتشارد رورتي Richard McKay Rorty: فَيلسوفٌ امريكيٌ؛ وِلِدَ في نيويورك عام ١٩٣١. وُصِفَ بأَنهُ نسبي براغماتي و مابَعد حَداثي، نِسبةً لمواقفهِ الضِّديَّةِ مِنَ النَّزعاتِ التَأسيسةِ، وَأَسهمَتْ في ذلِكَ آراءه بالضدِّ مِنَ التَمثيليَّة والمطابقاتيَّة- المرآويَّة، وَبالضِدِّ مِن كُلِ الفَلسَفاتِ النَسَقيَّةِ. لِذلكَ وُصِفَ مَشروعه بكونِه مَشروعاً لفَلسَفة مابَعد **الــ فَلسَفة**: أي مابَعد الفَلسَفاتِ الَّتي تُحاول تَأسيس صَرحٍ نَظري يَعملُ عَلى إيجادِ الحُلولِ المطلَقةِ وَالكَونيَّةِ في تَفسِيرِهِ لما كانَ وَمايَنبَغي أَن يَكون، و توفي في ٢٠٠٧.

لرورتي مَجموعةً مِنَ الكُتُبِ والدِراساتِ مِن أهمِّها:

١. المُنعَطف اللغَوي (إشراف وتحرير).
٢. الفلسفةُ ومِرآةُ الطبيعةِ.
٣. عَواقِبُ البراغماتيَّة.
٤. الفلسفةُ والأَمل الأَجْتِمَاعي .
٥. العَرَضيّة، السُخرية والتضامن.
٦. الموضوعيّة، النزعة النسبيّة والحقيقة: بحوث فلسفيّة-١.
٧. دراسات عَن هايدغر وآخرين: بحوث فَلسَفيّة-٢ .
٨. الحقيقة وَ التقدم: بحوث فَلسَفيّة-٣ .
٩. الفَلسَفةُ كسياسة ثَقافيّة: بحوث فلسفيّة-٤ .

يُعَدُّ **رورتي** العَلَمَ الأَبرَزَ لِلفَلْسَفَةِ البراغماتيَّةِ الجَدِيدَةِ New pragmatism، وَ واحِداً مِنْ أقطابِ تَيّارِ مابَعْدِ الحَداثيَّةِ Postmodernism، وَ مِنْ رُوادِ اللِّيبرالِيَّةِ الأَمريكيَّةِ وَ كِبارِ المُنافِحينَ عَنها. تَأثَرَ بِما جَلبَتْهُ الفَلسَفاتُ عَلَى المَدى القاريِّ- الأُوربيِّ، فَقَفَزَ عَلَى مُستَوَياتِ التَّوصِيْفِ وَ التَّعْلِيْبِ لِلفَلْسَفَاتِ التَّقليدِيَّةِ والأَشْخَاصِ المُنضَوينَ تَحْتَ أسمِهَا. لِيَنفَلِتَ مِن تِلكَ التَّصنِيفَاتِ ما بَينَ النَزَعَاتِ الفَلسَفيَّةِ التَحْلِيْلِيَّةِ الإِنجلوسَكسونيَّةِ وَ النَزَعاتِ الفَلسَفيَّةِ الأُوربيَّةِ النَّسَقيَّةِ أَو النّقديَّةِ، فَكانَ لهُ حُضور إمتازَ بِأستِجلابِ الأَدواتِ القاريَّةِ وإستِنهاضِ المَكنُونِ العَمَليِّ الأَمريكيِّ، وبتَوليفَةٍ إعتَدناهَا مِن جُلِّ الفَلاسِفَةِ المُعاصِرين، نَجدُهُ يُقَدِمُ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ جِسرٌ تَواصُليٌ بَينَ الضِّفَتَينِ القَارِيَّةِ وَ الأَمريكِيَّةِ. لكِنْ هذهِ المَرّة مِن قَلْبِ أَمريكا. وتلكَ مِيزَتُه.

وَ مِن تَوفِيقيَّتِه، الفَلسَفيَّةِ، هذهِ، يَتشَكَلُ **رورتي** بِصورَةِ فَيلَسوفٍ أَرخَبيليٍّ: يَعملُ عَلى جُزرٍ مَعرفيةٍ مُتعددةٍ مُستَفيداً مما يُلائم نَقْدَه، وَ أنعِطافُهُ بِمَسَارِ العَقْلِ الغَربيِّ، وَ تَأسيسِه لِما بَعد **الــ** "فَلسَفَة" في سَبيلِ فِعلٍ تَفَلسُفيٍّ مُغايرٍ: فَلسَفةٌ لا كَما كانَتْ، بَلْ بِما يُمكنُ أَن نَكُونَ عَليهِ، مُتجاوزينَ مُسَلَّمات التَعْالي والمفارقةِ والمِيتافِيزيقا. وهنا يفرق رورتي بين الفلسفة Philosophy وبين philosophy ويعمد الى كتابة حرف الـ"P" بالحجم الكبير في اشارته للفلسفات النفسية والتأسيسية والتي ينقضها في سبيل فلسفة خارج اطار القمع التخصصي الحرفي المذهبي التأسيسي؛ وذلك ماسيجعله يعمد الى توسيع نطاق صفة الفيلسوف لتطال حتى مجموعة كبيرة من الكتاب الشعراء والفنانين. وستتضح معالم هذه النزعة تبعا في البحث.

عَمِلَ **رورتي** عَلَى إنجازِ مَسَارٍ نَقدِيٍّ تَهَكُميٍّ: يُقيمُ لِلعَرَضي مَقامَاً بِالضِدِّ مِنَ الدائِمِ وَ المستَمرِ، وَ للخُصوصيِّ مَقالاً بالضِدِّ مِنَ الكَونيِّ، وَ للحِوارِ وَ الحِجاجِ دَوراً بَديلاً عَنْ المقايَسَةِ وَ المُطابَقَةِ وَ المرآويَّةِ؛ إنّها مَساراتٌ: تَهذيبِيّةٌ (تَكوينيَّةٌ)*Bildung، وَ عَمَليَّةٌ، وَ هرمينوطيقيَّةٌ، تَعمَلُ عَلى التّعدُدِ واللاتَمرَكُز. وَ مِن ذلكَ، نَكشِفُ مَديات: الاستِعارةِ، وَ التَوليفِ، وَ الإبداعِ. بَين براغماتيَّة دِيوي، وَ الدّمجِ بَينَ مُعطَياتِ التَأويلِ الهايدغري وَ الغادامِيري، وَ الحِوارِ المَقبولِ لأنّجَعِ الغاياتِ حُصولاً. وَ دَعَّمَ **رورتي** أفكارَهُ الآنفة بِتَقسيمِ توماس كُوْن للسائِدِ والثّوري مِنَ العِلمِ، كَما وَ أفادَ مِنَ الفَلسَفةِ التَحْليْليَّةِ وَنَقدها. وَ وُسِمَ شِكلُ التَفَلسُفِ **الرورتيّ**، الآنِفِ، مِن كَمَالاتِ الذاتيَّةِ، وَ تَشريعاتِ الـ"بَينذاتيَّةِ"، بأنَّهُ مَقولاً في إطارِ تَشذيباتٍ وَ تَهذيباتٍ للسُلوكِ وَ الفَهْمِ معَولاً على بُعد التَّخيلِ: وَ ذلكَ هُوَ الإبداع.

المحور الأول:

رورتي: مِنَ الفَلسَفَةِ التَحْليْليَّةِ إلى نَقدِها.

بَدَأَ **رورتي** تَحْليْليَّاً؛ واستَطاعَ أن يُقدِمَ دِراسَاتٍ وبحوثاً وإشرافاً وتَحريراً لمجموعَةٍ مِنَ الأعمالِ في المَجالِ نَفسِهِ. إلّا أَنَّهُ ما لَبِثَ أَنْ انعَطَفَ عَنْ ذلِكَ المَسَارِ نَحوَ الفَلسَفَةِ القاريَّةِ (الأُوربيَّة). وَ حِينَما كَانَ مُعتَقِداً بالمنجَزِ التَحْليْليِّ اللُغَويِّ كانَ قَد كَتبَ مَرةً: «أفهَمُ مِن خِلالِ الفَلسَفَةِ اللُّغَويَّةِ المفهُومَ الَّذي بحَسبِهِ المشاكِلُ الفَلسَفيَّةُ هي مَشاكِلٌ يُمكنُ حَلَّها (أَو تَذليلَها) إمّا بإعادَةِ تَشكِيلِ اللُّغَةِ أَو بِدِراسَةٍ أفضَل لِلُّغَةِ الَّتي نَستَخدِمُها اليَوم»[1]، بَل رَأى (وقتها) أَنَّهُ حَتى جيمس وديوي، وَ هُما براغماتيين، يَنتظرانِ في آخرِ طابورِ المَسَارِ الَّذي صَنَعَتْهُ الفَلسَفَةُ التَّحْليْليَّةُ. إلّا أَنَّهُ لَم يَبقَ عَلى رَأيِهِ هذا فَقَدْ تَحوَّلَ صَوبَ البراغماتيَّةِ نابِذَاً تَصورهُ السابِق، بِريادَةِ التَحليلِ، نَحو ضَربٍ مِنَ الهَدفِ البراغماتي، بِصُحبَةِ فِكرَةِ الأَمَلِ والتَّهْذيْبِ، ونُكرانِ فِكرَةِ التَأسِيساتِ والإختِزالياتِ الَّتي عَمِلَتْ عَليها التَحْليْليَّة، وَ ذلكَ ما وَجَدَهُ مُصاحِباً لِذَرائِعيَّةِ ديوي في فِكرَةِ الخِبرةِ وَ مُواجَهَةِ الحَياةِ وَ مُشكِلاتِها.[2] وَيَقومُ تَحولُهُ هذا، عَنْ مَسَارِ التَحْليْليَّةِ، عَلى قِراءةٍ نَقْدِيَّةٍ وَ وَصْفِيَّةٍ لوَضْعِها الفَلسَفيَّ اليَومَ، وَالَّتي يُمكنُ إجْمَالُها بالآتي:

١- إنَّ ما يُمَيِّز التَحْليْليَّةَ أنَّها تَنتَقِلُ مِنَ التأملِ إلى العِلمِ وَ التَركيز عَلى التَحليلِ المَنطِقيّ للجُملِ وَ العِباراتِ.

---

* Bildung مُفرَدَةٌ ألمانيَةُ الأَصلِ، أفادَ مِنها رورتي عَنْ طَريقِ غادَمير، وَ هُنالِكَ مَن تَرجَمها بِالتَنشِئَةِ، وَبِذلِكَ فَفَلسَفَةُ **رورتي** يُمكنُ وَصفها بِالمَنشئة، وَقال بِذلكَ كُل مِن الباحِث مُحَمَد جَديدي، وَ زُهير يَعكوبي، وَ آخَرين مِنَ الباحِثين، إلّا إنَّنا نَرى أَنَّ التَرجَمة الَّتي قَدَمَها حَيدَر حاج إسماعيل في تَرجَمَتِهِ لِنَصِ **رورتي** "**الفَلسَفة وَمِرآة الطَبيعة**" بِالتَهذيبِيةِ أَكثَر قُربَاً، وَتسويغُ ذلكَ إنَّ التَهذيب لُغَة يُشَكِل إحدى مَوارد دَلالات لَفظِ الثَقافة، فَالثَقافة هِي تَشذيب وَتَهذيب، وَالمنعَطَف الثَقافي الَّذِي يُؤكد عَليه **رورتي** يَقربُ هذا المعنى، بل هي (المفردة) تُشيرُ إلى المعنى الثَقافي والتعليمي في تَرجَمَتِهِ إلى الإنجليزيةِ فَيُقابل Education الَّتي تَحمِلُ دَلالة التَعليم. وَ عَلاوة عَلى ماسَبَق فَإنَّ لَفظَة "مُنَشِئة" قَد تُعيد الأَذهان إلى مُربَع التَأسيس فَيُفهَم مِن **رورتي** أَنَّهُ يَقوم بِمَهَمةِ تَأسيسٍ أُخرى وَ هُوَ عكس ذلك، فالاقرب دلالة في اللسان العربي هُوَ التهذيب أَو ذلكَ ماناه وَسَنَعمَلُ عَليهِ في دِراستنا هذهِ.

(1) Rorty, Richard, (Edited and with an Introd) **the Linguistic Turn**: **Recent Essays in Philosophical Method**, Chicago: University of Chicago Press, 1967, P.3.

نَقلاً عَنْ : ديلودال، جيرار، **الفلسفة الامريكية**، ترجمة جورج كتورة والهام الشعراني، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص٤٣٦.

(2) يُنظَر: ديلودال، جيرار، **الفلسفة الامريكية**، ص٤٣٦.

٢- إنَّ مَفهومَ التَحليلِ المَنطقيّ يَرتد عَلَى ذاتِهِ وَ ذَلكَ يُؤَدي إلى ٱنهيارِهِ وٱنتِحارِهِ.
٣-لَمْ تَستَطعْ الفَلسَفَةُ التَحْلِيْلِيَّةُ الإفَادة مِنَ الحَفْرِيّاتِ والجينالوجيا في الدلالَةِ.كَما أُنتِجَ مَعَ الفَلسَفَاتِ الفَرنسيَّة والأَلمانيَّة، وَ ذلِكَ قادَ رجالَها إلى الإنكِفاءِ على قِراءةِ النصوصِ كَما يَجري في الدِراساتِ القانونيَّةِ.
٤- إنَّ مَسَارَ التَحْلِيْلِيَّةِ هذا دَفَعَها بِإتجاهِ القَطيعَةِ مَعَ الفَلسَفةِ الأُوْرُبِيَّةِ-القاريَّةِ، وَ ذلكَ أَدَّى إلى نَفيٍّ وَ إقصاءِ تَدريسِ هيغل وَ نيتشه وَ هايدغر.
٥- ولِما سَبَقَ، فإنَّ الفَلسَفَةَ أَكادِيمياً وَجدَتْ نَفسَها مُقيَّدَةً ببيئَتِها الأَصليَّةِ في الإنْسانِيَّاتِ وَ جَدَلية مُشكلةِ ٱقتِحامِها للعُلومِ الطبيعيَّةِ أَو خَرقِها للعُلومِ الاْجْتمَاعيَّة الَّتي هيَ اليوم مَوضُوعاً لإختبارها.[٣]

وقُرأَتْ المِيزات الآنِفة مِن قِبَلْ **رورتي** بِصُورةٍ جَعلتهُ يَتوجَسُ مِن التَحْلِيْلِيَّةِ، وَ قُدرَتِها عَلى أَن تُعَدَّ مَسَاراً لِلحَقِيْقَةِ. ذلكَ المَسَار الَّذِي سَينقضُهُ، جُملَةً، فِيما بَعْد.

رَأى **رورتي** إنَّ المُشكِلَ الأساسَ في الفَلسَفةِ التَحْلِيْلِيَّةِ هُوَ أنَّها تُريدُ أَن تُحافظَ عَلَى أَيِّ أَملٍ في سَبيلِ تَحقيقِ عِلميتها، وَ دِقتِهَا، وَ مايلزمُ لِكُلِ ذلكَ. فَوجَدناها تَعملُ عَلى تَثبيتِ المَفاهيمِ والمَعاني المرجِعيَّةِ بالرُغمِ مِنَ التَغييراتِ الاْستِعمَاليَّةِ المُرتبطةِ بِتَعَدُدِ المستَعْمِلينَ وَ تَغايرِ الأزمِنَةِ. وَ عَمِلَتْ كَذلِكَ عَلَى تَقعِيدِ بَديهياتٍ تَبقَى سَاذَجَةً بالرَّغمِ مِن كُلِّ التَحَوّلاتِ الثَّقافيَّةِ. لِذلِكَ عَمِلُوا في سَبِيلِ نَقْضِ البُعدِ التَارِيخيِّ مِنْ جِهةٍ؛ وَ نَقَضوا إمكانِيَّةِ أَن تَحمُلَ كُلُ القَضَايا مَعنى مِنْ جِهَةٍ أُخرى. لأَنَهُم وَجَدُوا أنفُسَهُم مُهَدَدين بِخَطرِ نَفيهِم وَ وَصفهِم بالطِرازِ القَديْمِ، أَي المحَدَدِ في فَترةٍ مُعينةٍ وَ يَتصِفُ بِكَونِهِ مَحدُود الرؤيةِ. وَ لأَجلِ كُلِ ذلكَ فإنَ التَحْلِيْلِيَّةَ نَظرتْ للمُقدسِ وَ التَارِيخيةِ وَ الذَرائعيةِ بعينِ الإرتيابِ وَ الشَكِ لأنَّها مِنَ المُمكِنِ أنْ تَفتَحَ البابَ أمامَ جَعلِ بَديهياتِها تَحْتَ رَحمةِ التاريخ؛ وَ التَاريخُ هُوَ ضِد الإحترافيَّةِ السُكونيَّةِ الَّتي تَسْعَى لَها التَحْلِيْلِيَّةُ الأنجلوسَكسونيَّةُ في السُباتِ الأَكاديميِّ وإجتراحِ الموضُوعاتِ ذاتِها.[٤]

بِناءً عَلى ماسَبَق، **فرورتي** ضِد كُل طُروحات جَعْل الفَلسَفَةِ عِلماً نِظامِياً دَقيقاً صارِماً وَذلكَ هُوَ مايخرجها عَنْ بُعدِها الإنْسَانيِّ وَ التَاريخيِّ؛ وَ لِدَعمِ ماسَبَقَ يَقولُ: «أَنا شَخصيَّاً مُقتَنِعٌ بالقُدسِيِّ، بالتَّاريخيِّ، بالذَرائِعيِّ، والقَرائِنيِّ. وَ لا أَعتَقِدُ بِأَنَّ هُنالِكَ أَيَّةَ شَذَراتٍ قَليلَة قابِلةٍ لِلتَحليلِ تُسَمى "المَفاهيم" وَ "المَعاني" مِنَ النَوعِ الَّذِي يَتَطَلَبُهُ وَصف وَظيفة الفَلاسِفَةِ التَحْلِيْليين. إنَّ إنّدِفاعي الأَول، وبِناءً عَلى إبلاغي بِلُغزٍ فَلسَفي، كانَ مُحاولةً لِتَفكيكِهِ بَدَلاً مِن حَلِّه: إستَطلَعتُ بِشكلٍ نَموذجيٍ الشُروطَ الَّتي طُرِحَتْ فيها المَسألة، وَ أُحاولُ إقتِراح مَجموعَة شُروطٍ جَديدَةٍ، شُروطٍ يَكون فيها اللُغزُ المُفترضُ غَيرَ مُستَقر. رُبما يُفسرُ هذا النَوعَ مِنَ السُلوكِ الحَقيقةَ بِأَنّي غالِباً مايَتِمُ تَشخيصي كَأحد فَلاسِفَة "نِهايَة الفَلسَفَة" لكِنَني لَمْ أَكُنْ كَذلكَ»[٥].

لكنْ هَل نَقَضَ **رورتي** التَحْلِيْلِيَّةَ بِصورةٍ قَطعيَّة؟ السُؤال الَّذِي لايُمكِنُ الجَزمُ بالإيجابِ عَليهِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَهدِفْ لِتِلكَ الغايَةِ، بَل هَدَفَ إلى إبقاءِ مايُمكِنُ إبقاؤه وِفقَ إمكانيته في الصُمُودِ التَسّويغيِّ الإتفاقيِّ عِبرَ المحادَثَة، وَ مَزجِهِ بالقادِمِ القاريِّ- الأُوربيِّ، فَيَقولُ: «سَأُحَاولُ أَن أُبَرهِنَ بأَنَّ هؤلاء التَحْلِيْليين يَستَطيعونَ مُساعَدتَنا بإرجاعِ الفَلسَفَةِ إلى الطَريقِ الرومانطيقيِّ،... وَ مِن جِهةٍ أُخرى، نَستَطيعُ الإنّصِرافَ عَنْ الفِكرةِ القَديمةِ بَأن هُنالِكَ شَيئاً خارِجَ الكائِناتِ البَشَريَّةِ لَديهِ سُلطَانٌ عَلى

---

(٣) محمد جديدي، **الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، منشروات الاختلاف والدار العربية للعلوم ومؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، ط١، الجزائر ولبنان والامارات، ٢٠٠٨، ص٩٠.

(٤) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «الفلسفة التحليليّة والفلسفة التحويليّة»، ترجمة عبد الله راضي حسين، **مجلة الثقافة الاجنبية**، العدد الرابع، ٢٠٠٩، دار الشؤون الثقافية، العراق، ص٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٨٨-٨٩.

المعتَقَدات وَ الأَفعالِ الإنسانيَّة»[٦]، وَ لِذلكَ جاءَتْ آراءُ **رورتي** لِتَحكي فاعِلية إستِبدالٍ وَ تَقويضٍ لما وَرِثَهُ العَقلُ الغَربي مِن مُسَلَّماتٍ إغريقيَّةٍ. وَ هذه الآراء يُرادُ لَها أَن تَصبَحَ تَحويليَّة عَمّا سَبَقَها، سَواءٌ أَ أَحبّها الآخرونَ، أَم لا؟ لِذلكَ فَهُوَ لايَهْدِفُ إلى تَجَنُّبِ الفَلسَفَةِ التَحْلِيْلِيَّةِ بِقَدَرِ البَحثِ عَنْ الحاجَةِ إلى دِراسَةٍ عَيِّنَةٍ مُنتَخَبَةٍ مِنَ الفَلاسِفَةِ التَحْلِيْلِيينَ بِوَصفِهِم جُزءً مِن تاريخِ العَقْلانيَّةِ الَّتي يَجبُ الإطلاعُ عَلَيْهَا لِكَشْفِ ٱلتِباسِ الحَقيقَةِ في مَعاييرِهِم اللُغَويَّةِ وَ التَحقُّقيَّةِ. وَ بِالرَّغمِ مِن شَكِّ **رورتي** في قُدرةِ التَحْلِيْلِيةِ عَلى تَقديمِ حَلٍّ للالغازِ الَّتي هَدفَتْ لَحلِها أَو ٱعتَقَدَتْ أَنَّها حَلَّتْهَا، إلّا إنَّهُ يَراها قَدْ ساعَدَتْ عَلى أن تَتَبَوءَ حَيِّزاً في تَاريخِ الفَلسَفَةِ. وَ أَنَّها كانَتْ وَ ستَكون لَحظَة تَحويْلِيَّة في ذلكَ التَاريخ.[٧] أَي أَنَّها قَدْ نالَتْ حَظّها مِنَ الإهتِمامِ لَيسَ بِسَبَبِ ما قامتْ بِهِ مِن إبهارِ قُرَّائِها بِوضُوحِهَا وَ دِقَتِها كَما أَرادَتْ، وَ إنَّما لأَنها رَأَتْ إنَّنا نَتَكَلم في حَياتِنا عَنْ العِباراتِ وَ لَيسَ عَنْ الأَفكارِ. إذ إنَّ الأَفكارَ لاتَحملُ جُزئياتِها المتَفَرِدة وَ المُنَاسِبَة وَ إنَّما العِبارات هيَ الَّتي تَحمِلُ ذلكَ. ممّا أدَّى إلى تَصورٍ تَحوّليٍّ بِالضِدِ مِنَ التَمثيلِيةِ إذ أَعطَتْ مَعنى لوجود المعنى في سِياقِ الجُملِ ممّا عَطَفَ المسار الفَلسَفي نَحوَ نِهايةٍ للتَمثيليَّةِ الَّتي ٱعتَمَدتْ الواقع مَرجِعاً وَ الأَفكار مُطابَقة، وَ الفَيلَسوف مِرآوي.[٨] فٱعتَقَدَ **رورتي** أَنَّهُ لاوجُود اليَوم لشيءٍ يُمكنُ نَعتهُ بِسِمَةِ الفَلسَفَةِ التَحْلِيْلِيَّة، وَ لَمْ يَقصدْ بِذلكَ الحَطِّ مِن قِيمتِها بِقدرِ ماتَصَوَرها مَشرُوعَاً قَد تَوارى وَ خَابَ. فَهيَ قَدْ ٱستَنفَدَتْ فِكرَتَها في جَعْلِ الفَلسَفَةِ عَلى طَريقِ العِلْمِ السَليمِ والآمِنِ، وَ ذلكَ بِنَظرهِ أَمرٌ يَستَدعي السُخرية.[٩]

ذلكَ الإهتمامُ **الرورتوي** بِنَزعِ كُسوةِ المنجَزِ العِلمَويِّ وَ التَحْلِيْلِيِّ، أُردِفَ بِهَمٍ آخر: هُوَ المَدى الفِكري الَّذي سَيطالهُ النَقْدُ **الرورتوي** وَ الَّذي ٱمتَدَ لِيَشمِلَ التَأسيساتِ النَظَرية الفَلسَفيَّةَ المذهَبيَّةَ وَ كُلَّ ما يماشي التَمثّل مَنهَجاً، وَ الواقِعيَّة مِعياراً والإبستِمُولوجيا طَبيعَةً للبَحْثِ. فَكتَبَ **رورتي** في نَقْدِ كُلِّ ذلِكَ، حَتى وُصِفَ بَالعَدَميَّةِ.

وَ قَدْ عَمِلَتْ المذاهِبُ الفَلسَفيَّة، وَ لاسيَّما المُعاصِرةُ مِنها، عَلى حَصرِ مَهَمَة الفَلسَفة بالدَرسِ الفَلسَفيِّ وَمِهنِيَّةِ التَفَلسُفِ في أَروقةٍ أَكاديميَّةٍ؛ وَ تِلكَ إحدى التُهَمِ للوَضعيَّةِ وَالتَحْلِيْلِيَّةِ كَذلكَ. حَتى أَنتَجتْ قِراءاتٍ ٱختَزَلتْ تاريخَ الفَلسَفةِ بِوَصفِهِ حَلّاً لمشكِلاتٍ فَلسَفيةٍ بِأساليبَ مُختَلِفَةٍ، وَ مَناهِجَ مُتَعَدِدَة، وَ لأَنَّها (التَحْلِيْلِيَّة) هيَ الأُخرى قِراءات فَقَدْ قادَتْ إلى عَاقِبةٍ سَيِّئَةِ الطَالِعِ، بِسَبَبِ الحِرَفيَّةِ المفرَطَةِ في الإشتِغالِ الفَلسَفيِّ وَ إنتاجِ نَصِّهِ؛ فَقَدْ ضاعَتْ المَهَمَّةُ الأَسَاس الَّتي يَنبَغي التَوجُه لَها! وَ هيَ تَنميةُ وَ تَحسينُ حَالِنَا الإنْسَانيّ، وَ هُنا تَتَضِحُ المهَمَةُ الجَديدَةُ للفَلاسِفَةِ كَمايَقولُ **رورتي** في أَن يُقَدِّموا «إقتراحاتٍ خَياليَّةً لإعادَةِ وَصفِ الوَضعِ الإنْسَانيِّ؛ فَيُقَدِّمونَ طُرُقَاً جَديدَةً لِلبَحْثِ في آمالِنا وَ مَخاوِفِنا، وَطُموحَاتِنا وَتَطَلُعَاتِنَا. وَ بِالتَالي لَيسَ التَقَدُمُ الفَلسَفيُّ مَسأَلَةَ مَشاكِلَ يَتِمُ حَلُّهَا، بَل أَوْصَافٌ يَتِمُ تَحسينها»[١٠].

وَ يُدافِعُ **رورتي** عَمّا يَدعَم ٱطروحَته في نَقْدِ التَحليْلِيَّةِ مِمَّا تَتَضمِنَه كِتاباتِ كُلٍ مِن سِيلارز* وَ كواين** وَ يَعمَلُ عَلى البَرهَنَةِ عَلى صِحَةِ مَذهَبِهِمَا بِقَولِهِ «إنَّ مَذهَبَهُما هُوَ حاصِلُ ٱلتزامِهما

---

(٦) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٧) يُنظَر: المصدر نفسه، ص٩١

(٨) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، **مجلة العرب والفكر العالمي**، العددان الثالث والعشرون والرابع والعشرون، ٢٠٠٨، مركز الانماء القومي، بيروت، ص٨٧.

(٩)يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٥٠.

(١٠) رورتي، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، ص٧٩

* **سيلارز، ولفرد Wilfrid Stalker Sellars** (١٩١٢-١٩٨٩): فيلسوفٌ امريكيٌ. اشتَهَرَ بِبَحثِهِ المعَمَق في الميتافيزيقا وَفَلسَفَة العَقْل. مَيَّزَ بَينَ الصُورةِ الذهنيةِ لَدى الإنسان بِوَصفِهِ كائِناً ذا مُعتَقَدات وَ رَغَبات وَ مَقاصِد، وَ بَيْنَ الصُورة العِلمية الَّتي تَراهُ كائناً مُتجسداً وَ عِرضةً للدراسةِ الفيزيائيةِ وَ الكيمياء البَشَرية وَ الفسيولوجيا. وَ تَتَميز مُقارَبَته لِحَل إشكالية العِلاقة فيما بَين التَصورَين عِبرَ رَأيٍ

بِفِكرَةِ: أَن التَسويغَ لَيسَ أَمراً مُختَصّاً بِعِلاقةٍ خُصوصيَّةٍ بَينَ الأَفكارِ أَو الكَلِماتِ وَ الأَشياء. وَ إِنَّما هُوَ مَسأَلة مُحادَثة، وَ مُمارَسَة إِجتِماعية، فَالتَسويغ بِالمحادَثَةِ هُوَ كُلّي، وَ بِصورةٍ طَبيعيَّةٍ، في حين إِن فِكرَةَ التَسويغِ الراسِخَةِ في التَقليد الإِبستِمُولوجي هيَ إِختِزاليَّة وَ ذَريَّة»[١١].

بناءً على ذلِكَ، سَعى **رورتي** إِلى التَوَسُعِ في فِكرَتَيهِما الجامِعة بَين المذهَب الكُلّي وَالبراغماتي، مِن خِلالِ الهُجومِ عَلى فِكرةِ المُعطى مَع سيلارز، وَ فِكرَةِ الضَرورةِ مَع كواين، مّما يَقودُ نَتيجةً إِلى تَقويضِ اسس التحليلية وَ مركزيات مقولاتها، المجسدة كتجلي متطرف لنظرية في المعرفة، وَ ذلكَ يَعودُ بِنا إِلى نَتائجَ وَصَلَ لَها جيمس في رَأيهِ بِأَنَّ الحَقيقةَ هي أَفضَل مانَعتَقدُ بِهِ مِن غَيرِهِ، وَ لَيسَ تَمثيلَ الواقعِ وَ التَطابُقَ مَعَهُ.[١٢]

وَيُقَدِم كُل مِن سيلارز وَ كواين لِرورتي تَدعيماً برؤيَتِهما: إِنَّ الصِّدقَ، بَل وَالمعرِفَة لايُمكِن الحُكم عَلى أَيٍّ مِنُهما دونَما مَعايير يَتواضَعُ عَليها الباحِثونَ وَ بِذلكَ يَصبَحُ أَيُ قَولٍ مُكتَسِباً مَعناه نِسبَةً للإِحالةِ إِلى مانَتَوافَقُ عَليه وَنَقبَلُهُ، وَعَليه فَإِنَّهما لايَسعَيان إِلى تَصويرِ المعرِفةِ بالأَبديِّ وَالمطلَق، وَإِنَّما الإِعتِقادُ بِصحَةِ الشَيء هيَ الَّتي تَصبَح مِعياراً، مِن المعرِفي إِلى السُلُوكيِّ، وَبِذلكَ تَتَحَولُ المعرِفةُ إِلى كَونِها ما نَعتَقِدَهُ وَنَثِقُ بِهِ، وَنَسيرُ وِفقاً لَهُ، لِإِعتِقادِنا بِهِ. وَلأَنَّهُ مُتَشَكِلٌ بِوساطَةِ خِبراتِنا في الحياةِ.[١٣]

يُزاوِجُ **رورتي** بَين إِرث الفَلسَفَةِ التَحْلِيْلِيَّةِ وَالمنعَطَف المحادَثاتي في إِقرار الحَقيقة بَل وَ صُنْعِها، فَيُصَرِّح بِأَنَّ إِحدى صِفات البراغماتيَّة الجَديدَة أَنَّها لاتَتَضَمَنُ أَيَّ قُيُوْدٍ عَلى البَحْثِ، ما خَلا قُيودَ الحِوارِ- إِذ لا تُوْجَدَ قُيودٌ كَبيرةٌ مُتَأَتيةٌ مِن طَبيعَة الأَشياءِ، أَو طَبيعةِ العَقْلِ، أَو طَبيعَةِ اللُغَةِ، بِأستِثناءِ القُيودِ المفرَدَةِ الَّتي جاءَتْ مِن مُلاحَظاتِ الباحِثينَ.[١٤] وَيَجِدُ رورتي ضَالَتَه فِي تَعضيدِ رأيهِ الآنف فِي مَا يَتَضَمَنَهُ مَذهبُ سِيلارز الّذي هُوَ إِشارَةٌ واضِحَةٌ وَ مُتعَلِقَةٌ بِالفُروقِ بَين الوَقائِعِ وَ القَواعِدِ فَهُوَ يُشيرُ إِلى أَنَّنَا لانَخضَع لِقَواعِدَ مَعرفيةٍ إِلا عِندَما نَدخُلُ في مُتَحَدٍ جَماعي أَو حَيزٍ إِجتِماعي يَعمَلُ عَلى صِناعَة تِلكَ القَواعِد، وَ يُعطِي المعنى.[١٥] وَلِذلِكَ فَهوَ يَنتَقدُ «أُسطورَةَ المُعطَى وَيُشَكِكُ فِي الفِكرَةِ التَجريبيَّةِ القَائِلَةِ إِنَّ مَعرِفَتَنَا بِالعَالَمِ تَعتَمِدُ عَلى خِبراتٍ مُباشِرةٍ وَاحساسَاتٍ سَابقَةٍ عَلى التَصورِ، وَتَكون مُعطاة فَقَط أَثناء إِتصالِنا بِالأَشياءِ في العَالَم... وَيستَمدُ سِيلارز العَون

وُصِفَ بالسُلوكي للفِكرِ: فَالفِكر كَلام داخِلي يَتَشَكَل عَلى غِرار الكَلام العَلني الخارِجي؛ وَ هذا الأَخير إِنَّما هُوَ مُمارَسةٌ للقُدرَةِ عَلى ٱستِعمالِ تِلكَ الأَلفاظ وَ العِبارات المناسِبة لِعِلاقَتِها بالعالِم، وَ بِبَعضِها البَعض، وَ لِذلِكَ فَهي تُؤَدي أَغراضاً عِلميةً مُنفَصِلةً عَنْ التَصَوراتِ الميتافيزيقيةِ. (يُنظَر: **دليل اكسفورد للفلسفة**،ج١، تَحرير تد هوندرنش، تَرجَمَة نَجيب الحصادي، تَحرير التَرجَمة منصور محمد البابور ومحمد حسب ابو بكر، مراجعة اللُغَةعبد القادر الطلحي، المكتب الوطني للبحث والتطوير ، ليبيا، ب.ت، ص٥٠٣).

****كواين، ويلارد فان اورمان Willard van Orman Quine** (١٩٠٨-٢٠٠٠): يُعَدُّ مِن أَهَم الفَلاسِفَة الأَمريكان مُنذُ الحَرب، ساهَمَتْ أَعمالُهُ الغَزيرةُ في تَطورِ الفَلسَفَةِ الراهِنَةِ. لاسِيَّما ماقَدَّمَهُ في المنطِقِ وَ الإِبستمولوجيا وَ فَلسَفَةِ اللُغَةوَ الميتافيزيقا. إِتَفَقَ مَعَ الوَضعيةِ المنطقية في قُدرةِ العُلومِ الأَمبريقيةِ وَ مُقامها. رَأى أَن الفَلسَفَة يَجب أَن تُمارس بِوَصفِها جُزءاً مِن العِلمِ؛ إِلّا أَنه ٱنتَقَدَ الوَضعيةَ في مَوضوعِ التَفريقَ بَين القَضايا التَحليلية وَ التَركيبية وَ إِعطاءِ المنطِق وَ الرياضيات تِلكَ المنزِلة الرَفيعة قياسَاً بِالعلومِ الأُخرى. (يُنظَر: **دليل اكسفورد للفلسفة**،ج٢، تحرير تد هوندرنش، ص٧٨٣).

(١١) رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٤٧.

(١٢) يُنظَر: المصدر نفسه، ص٥٩.

(١٣) عطيات ابو السعود، «دور الفلسفة في الثقافة المعاصرة: بحث نقدي في آراء فيلسوف البراغماتية الجديدة ريتشارد **رورتي**» ضمن كتاب: **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية اخرى**، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ب.ت، ص١٣٥-١٣٦.

(١٤) Richard Rorty, **Consequences Of Pragmatism** (**Essays**: **1972–1980**), p.165.

(١٥) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٦٧.

مِن الفِكرةِ الكانْطيَّةِ القائِلة "الحُدوس مِن دُون تَصورات عَمياء" وَتبِعَاً لِذلكَ لايُعدُ ٱمتلاك الأنطباعات الحِسيَّة، في حَدِ ذاتِها، مِثالاً لِلمَعرِفَةِ، وَ لامِثالاً لِلخِبرَةِ الوَاعية، وَ إنَّما يَأتي التَمَكن مِن ٱستعمالِ اللُّغَة لِيكون شَرطَاً أساسيَّاً لِلخبرَةِ الوَاعِيةِ»[١٦]. ففي مقالته "المذهب التجريبي وفلسفة العقل" Empiricisim and the philosophy of mind يصوغ سيلارز مذهبه الساكولوجي للمعرفة، بوصفه نظرة تفيد : «ان كل وعي للانواع والمتشابهات والوقائع...، كل وعي للكائنات المجرد، وحتى كل وعي للجزئيات هو شأن لغوي. وطبقاً لذلك حتى الوعي لمثل هذه الانواع والمتشابهات والوقائع المنتمية الى مايدعى الخبرة المباشرة، ليست مفترضة قبل عملية اكتساب استعمال اللغة»[١٧] أي ان الوعي اصبح لاحقا لملكة استعمال اللغة ولامعنى حتى لمعطيات الخبرة المباشر الحدسية دونما تلك القدرة وتلك الادوات اللغوية، والتي بفحصنا لها سنجدها بمجملها صنائع اتفاقية اجتماعية.

كَما يُركزُ رورتي عَلى بُعدٍ آخَرٍ في حُجَجِ سِيلارز في نَقْدِ المُعطَى وَتَأسيسِ القَواعِد؛ ألا وَ هُوَ البُعدُ الأجتِماعيِّ لِخَلقِ التَسويغِ، فَسيلارز يَرى أنَّ التَسويغَ ماهُوَ إلّا مَهَمَة مُتعَلِقَة بالمُمارَسَةِ الأجتِماعيَّةِ وَ أَنَّهُ مَهما فَهمنا ٱكتِساب المَعرِفة وَطُرقِها، فاننا لايمكن أَنْ نَفهَمَ تَسويغَها دُونَما أَنْ تَكونَ جُزءً مِن تَداولٍ ٱجتِماعِيّ.[١٨]

أَمّا عَنْ كواين فَقَدْ أَسهَمَ في تَقديمِ إستِراتيجياتٍ نَقديةٍ صَوبَ الفَلسَفَةِ التَحْلِيْلِيَّةِ، رَفَدَتْ **رورتي** بِمَصدَرٍ لِضَعضَعَةِ وَتَضعيفِ المسنَدِ الوَضعيِّ وَالتَطَرُفيِّ التَجريبيِّ الَّذِي ٱختَزَلَ العَالَم وَحَقائِقَهُ إلى قَضايا صَادِقَةٍ وَ أُخرى كاذِبَةٍ أَو لامَعنى لَها، فَقَدْ نَقَدَ كواين، أَولاً، التَقسيمَ، الَّذِي تَبَّنْتهُ الفلسفةُ التَحْلِيْلِيَّةُ، بَين القَضايا التَحْلِيْلِيَّةِ وَالتركيبيَّة، في أَنَّ هُنالِكَ حَقائِقَ بِسَبَبِ المعنى وَ أُخرى حَقيقَة لِتَعلُّقِها بِالواقعِ. وَ ٱنتَقَدَ عَقيدَةَ الإختِزالِ الَّتي تَقولُ بِأَنَّ دَلالَة القَضايا يُمكِنُ فِهمُها عَلى حِدَةٍ، وَ يُمكِنُ إثباتُ صِحَّتِها أَو عدمه عَلى حِدَة، وَ رَأى أَنَّنا نُواجِهُ العَالَم لَيسَ بِعِبارَةٍ لُغَويةٍ فَقَطْ، بَل إنَّنا نُواجِهُهُ بِنِظامٍ كُلي مِنَ المعتَقَدات وَ النَظَريات وَ المعرِفَةِ الكُلية المتَشَكِلَة بِفعلِ التاريخ وَ الجُغرافيا وَ الفيزياء وَ حَتى الرياضيات فَكلُها تُسهِمُ في تَصورِنا عَنْ العالَمِ الخارجيِّ وَ الإخبارِ عَنْهُ.[١٩] وينتقد رورتي فكرة الصدق تحليليا التي تفقد معقوليتها لانها تعتمد على الصدق التركيبي، ويدعم رأيه بافتراضات كواين في الكلية التي تقرر ان المعنى يعتمد على شبكة من الاعتقادات ولادليل على التمييز القائم بين قضايا ضرورية واخرى ممكنة، ولايوجد معيار لتحديد اين تنتهي الاستعانة بالواقع التجريبي واين يبدأ التعويل على الكلمات؛ وانه لاعبارة مستثناة من التعديل كلما بدا هنالك دليلا تجريبا قد يزعزع الثقة بها. [٢٠] وَيلحق رورتي حججه في نقد التحليلية نقد كواين لـ "فكرة الفكرة" التي تعتبر اللغة معبراً عمّا في داخلنا ويلزم اكتشافه قبل ان يكون من الممكن قول الملفوظ؛ او ان نفسر ما يقوله الناطقون الاخرون، وننسب بسببه اليهم اعتقادات ورغبات وثقافات معينة . هذا التخلي والنقد لفكرة الفكرة يعني الاستغناء عن فكرة "الصدق بوساطة المعنى" والتي اعتمدها التجريبيون المنطقيون، وبذلك يتم ازالة التمييز والحواجز التي وضعوها بين ماهو ضروري وماهو ممكن.[٢١]

([١٦]) صلاح اسماعيل، **البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي**، قسم الفلسفة – كلية الاداب – جامعة القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص١١٨.

([١٧])رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٦١.

([١٨]) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٦٦.

([١٩]) كوتنغهام، جون، **العقلانية: فلسفة متجددة**، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٧، ص١٢٨.

([٢٠])يُنظَر: صلاح اسماعيل، **البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي**، ص١٢٢وص١٢٦.

([٢١])يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٧٤.

وبناءً على ماسبق ذكره، فإن رورتي سيهدم فكرة الصدق بالمعنى التقليدي ومعاييره الفلسفية من افلاطون الى التحليلية، وسيتضح ذلك في نقده للتأسيسية والتمثيلية والماهوية في كونها صفات لنظرية المعرفة = الابستيمولوجيا، وعليه فهو لايقترب من وضع نظرية في الصدق، وذلك قد يكون مسوغاً من ثوابت، او بكلمة اخرى خصائص، البراجماتية الجديدة؛ وتلك المسوغات هي[٢٢]:

١- ان العبارات الصادقة تكسب وضعاً بديهياً في اغلب الاحيان.

٢- ان الرغبة في الصدق او تقرير ماهو صادق انما هي رغبة بالاصل بـ "التسويغ".

٣- لايمتلك الصدق أي طبيعة او ماهية.

٤- لايعد الصدق تطابقا مع الواقع.

٥- لايمثل الصدق هدفاً للبحث.

وهذه المعتمدات الرورتية هي التي ستنعكس في محاورنا الاتية، والتي ستتضح بتفصيل اكثر مع انتقاداته للصورة التقليدية للابستيمولوجيا.

وَ كَذلكَ عَمِلَ **رورتي** عَلى الإفادةِ مِن ديفيدسون* وَ بِالتَحديدِ مِن فِكرَةِ تَحويلِ اللُغَة إلى جُزءٍ مِن السُلوكِ وَ الكَينونةِ الإنْسَانيةِ الَّتي تَعملُ بإتجاهِ تَحقيق أَغراضِنا فَهيَ لَيسَتْ أَداة وَسَط بَينَنا وَ بَينَ العالَمِ الخارجي، كَما إنَّها لَيسَتْ فَضاءً لِتَكوينِ الصُور عَنْ الواقعِ، وَ بِذلكَ فَهيَ تُمثلُ (أَي اللُّغَة) جُمَلاً وَمَنطوقات تُشَكِلُ سُلُوكاً وَفِعلاً أَو تَصَرُفات بإتجاهِ تَهذيبِ حَياتَنا وَجَعلِها مُلائِمة لَنا.[٢٣] وَيَستَنتِجُ **رورتي** مِن ذلكَ: أَنَّنا لَسنا ملزمين بأَنْ نَكونَ واقعيينَ أَو ضِد واقعيين فَذلكَ يَجبُ طَرْحُهُ جانباً، إتِفاقاً مَعَ ما جاءَ بهِ ديفيدسون وَ زُمَلاؤه، لأَنَّه وَ في العالَمِ الجَديد لَن نُفَكِّرَ بِأَنَّ اللُّغَةَ أَو الفِكْرَ يَحتَويانِ دَوماً عَلى تَمثُلاتٍ للواقعِ، وَ مِن ذلكَ يَجب أن نَتَخَلى عَنْ إشكاليةِ الفاعل - المفعول، وَالَّتي تَسَلطَتْ عَلى عُقولِنا مُنذُ ديكارت، وَكَذلكَ يَلزَمُنا التَخَلي عَنْ فِكرَةِ "الظاهِرِ وَالباطِنِ" في الواقعِ الَّذي يُشيرُ إلى ما جَاءَنا مِن الإغريقِ وَ اَستَمَرَ إلى يَومِنا هذا كمفردة حُضوريَّة ومِعياريَّة.[٢٤] وَ بِذلكَ لَنْ تَكونَ للإبستِمُولوجيا هَيمَنَة عَلَى الإنْسَانِ المُعاصِرِ وَسَيَتَحَرَرُ مِنها صَوبَ إمكانيَّة الإنفِتاحِ الَّتي تُتيحُها مَشروعيةُ التَأويلِ.

([٢٢])يُنظَر: صلاح اسماعيل، **البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي**، ص١٧٤.

* **ديفيدسون Donald Davidson** (١٩١٧-٢٠٠٣): فيلسوفٌ أَمريكيٌ، تَحليلي النَزعَة. طَوَرَ نَظَرية في العَقْلِ وَاللُغَة، تَأَثَرَ بكواين، إلّا إنَّ أَهَم ماجاءَ بِهِ: النظرية السُلوكية للُغَة وَ الَّتي تَجعَلها مِن ضِمنيات الكَينونة، وَذلكَ يَعني إنَّهُ لا داعي لِتلكَ المنظومَة المفارِقَة مِن المعاني الَّتي أُعتُبِرَتْ نَسَقاً مِعيارياً مِنَ الأَفكارِ يُقاسُ بِهِ الواقع. إلّا أَنَّ ذلكَ لا أَصلَ لَهُ مِنَ الصِحَةِ. لِذلكَ عَمِلَ عَلى كَيفيةِ إتاحَةِ فُرصةٍ للُغَة لِكَي تَكون واسِطَة وجُودية للتَفاهمِ وَ التَواصُلِ بَينَ الذَوات. (يُنظَر: **دليل اكسفورد للفلسفة**،ج١، تحرير تد هوندرنش، ص٣٦٥).

([٢٣])ابو السعود، «دور الفلسفة في الثقافة المعاصرة: بحث نقدي في آراء فيلسوف البراغماتية الجديدة ريتشارد **رورتي**»، ص١٣٦.

([٢٤]) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، ص٧٩.

المحور الثاني:

التَخَلي عَنْ النَسَقِ التَأَسِيسيِّ وَ التَمثُليِّ*:

في نَقْدِ الفَلسَفَةِ: بوصفِها نِظامَاً مَعرِفيّاً، وَ تأسِيسَيّاً، وَ مِرآةً للطَبيعَةِ.

تُشيرُ التَأسيسيَّةُ أَو الفَلسَفَةُ النَّسَقيَّةُ إِلى النَزعَةِ نَحوَ البِناءِ وَ الأَنساقِ وَ التَشَكُلِ المنظومي الفِكري الكَبيرِ، الَّذي يُحاولُ أَن يُجيبَ عَنْ كُلِّ تَساؤلاتِ الإِنسانِ في ماضيهِ وَ الموقفِ مِنه وَ حاضِرِهِ وَ كَيفيَةِ الفِعْلِ فيه وَمُستَقبَلِهِ وَ كَيفيَةِ التَنَبُؤ لأَجلِهِ، أَو السَيطَرَةِ عَليهِ أَو العَمْلِ بِإِتجاهِهِ! وذلك كله انطلاقا من اسس عقلية تارة واخرى تجريبية وثالثة لغوية.

هكَذا يَبدُو الأَمرُ وَ كَأَنَّهُ لاهوتٌ جَديدٌ، يَأَخُذُ عَلى عاتِقِهِ حَلَّ مُشكِلاتِ الإِنْسَان وَتَوجِيهِ سُلُوكِهِ وَتَفكيرِهِ. مِمّا يَجعَلُهُ خاضِعَاً وَيَعُودُ لِتَكبيلِ يَدَيهِ بِقُيودٍ مُساوِقَةٍ لِلخُضوعِ الأُسطوري Mythology أَو العُبودياتِ الدِينيةِ. وَ تَجاوزَاً لِلفَلسَفَةِ مِن هذا النَوعِ، وَهِيَ الَّتي أَخَذَتْ صُوراً مُتَفاوِتَةً زَمَنياً مِن أَفلاطون وَ أَرسطو وَحَتى ديكارت وَ كانط وَ هيجل وَ مِن ثَمَّ ماركس وَ كُل المدارِسِ الَّتي تَبادَلتْ الأَدوار تاريخياً في الهيمَنَةِ عَلى الإِنْسَانِ وَ إِعاقَةِ تَحرُرِهِ، يَبحَثُ **رورتي** عَنْ الشَخصياتِ القَلاقِل: الَّتي تُحاولُ أَن تُخَربَ هذا النَسَق وَسُلطَتَه الماكِرة.

يُحَددُ **رورتي** ثَلاثَةً مِن فَلاسِفَةِ القَرنِ العِشرين: وَهم فيتجنشتاين وَهايدغر وَديوي، عَلَى أَنَّهُم مِنَ الَّذينَ كانوا **قَدْ بَدَأوا** مَشروعَهُم الفَلسَفيِّ بِالصُورَةِ المستَقبَحَةِ الَّتي قَدَمَها عَنْ الوَضعيةِ التَأسيسيَّةِ لِلمَقولِ الفَلسَفيِّ؛ فَحَاولَ فتجنشتاين الأَولَ أَن يُنشيءَ نَظَرِيةً تَأسيسيَّةً لِلتَفَكُرِ، كَما سَعى هايدغر إِلى صِناعةِ مَجموعَةِ مَقولاتٍ وَ مَفاهيمَ بِالضِدِ مِن نَسَقيَّةِ دِيكارت في المسعَى إِلى اليَقينِ الذاتي. كَما فَعَلَ ديوي في سَعيهِ لمحاكاةِ الفِكرِ الهيجليِّ في تَفسيرِهِ لِلتاريخِ،[٢٥] **وَتَحوَلوا فيما بَعد** إِلى جانِبِ الضِدِ مِنَ التَأسيسيَّةِ وَالتَمثليَّةِ وَالماهويَّة، وَعَمِلوا عَلى نَقْدِ ذلكَ الثالوث بَعد كَشفِهِم لِزَيفِهِ وَكَذِبِهِ وَلاجَدواه. وَكَانَ تَبْريرُهُم في تَخلِيهِم عَنْ الرواقِ الكانطي وَمَن يَسيرُ فيهِ كونُهُم وَجَدوا مَنفَذَاً لإِمكانيةِ إِنبِثاقِ ثَقافةٍ مابَعد كانطية: خاليةٍ مِن السَردِ الشُمولي وَالمنظومة التَمثيلية الَّتي تُعطي المعنى لِلعالَم وَكُل المنظومات المعرفية! وَلِذلكَ، يَقولُ **رورتي**: «جاءَتْ أَعمالُهُم الأَخيرةُ شِفائيّةً وَلَم تَكن إِنشائيّةً. وَتَهذيبيّةً، لامُنَسِّقةً. وَمُصَمِمَةً لِجَعلِ القارِيء يُسائِلُ دَوافِعَهُ الخاصة لِلتَفَلسُفِ، وَلَيسَ لِتَزويدِهِ بِبرنامجٍ فَلسَفي جَديدٍ»[٢٦]. وَعَليه أَعتَبَرَهُم حِقبَةً ثَوريّةً في الفَلسَفَةِ.

وَيَكشِفُ **رورتي** عَنْ أَهَميةِ فِتجنشتاين بِقَدَرِ تَحقيقِهِ الإِنعِطافَةَ الكُبرى في فِهمِ اللُغَة، وَماقَدَمَه مِن رُؤيةٍ مُهِمَةٍ غَيَرَتْ تَصورَنا تَماماً إِلى اللُغَةِ فَأَظهَرَتْ لَنا كَيفَ يَنبَغي لِنَظرَتِنا إِلى اللُغَة أَن تَنتَقِل مِن مَجالِها التَمثيلي إِلى مَعانٍ لاتَمثيلية.[٢٧]

---

* **التَمَثُلي/ التَمثُيلية Representative**: يَعني التَمَثُل: مايَحضَر في الذِهنِ وَيَكون ماثِلاً لَدَيهِ، وَهُوَ التَفكُر بمادةٍ عَينيةٍ، مِن خِلال نَظمِها في مَقولاتٍ عَقليةٍ. تُشيرُ إِلى معانٍ عِدة تَتَفِقُ عَلى اننا يُمكن أَن نُكَوّن صُورة أَو فِكرة او مُعطى عَقلي يكون هو معيار او مرجع الاحالة الى المعنى، مثل ما جاءَ بِهِ ديكارت في نَظَرِيتِهِ عَنْ الأَفكارِ التَمثيلِيَة، وَ الَّتي تَحكي إِمكانِيَة أَن يَعرِفَ العَقْل الأَفكارَ فَقَط دونَما إِمكان مَعرِفَتِهِ الأَغراضَ الحَقيقيَة مُباشَرة (يُنظَر:لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، المجلد ٣، تَعريب خَليل أَحمَد خليل، مَنشورات عويدات، ط٢، ٢٠٠١، ص١٢٠٩-١٢١٠).

([٢٥]) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٥٣-٥٤.

([٢٦])المصدر نفسه، ص٥٤.

([٢٧]) محمد جديدي، **الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، ط١، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ومؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، ٢٠٠٨، بيروت والجزائر والامارات،ص ١٠٤.

وَقَدْ حَبَّذَ **رورتي** في هايدغر ذلكَ الإنشِغال بِنَقْدِ الديكارتيَّةِ وَ كَذلكَ التَوجُه لِنَقدِ أُسُس الثَقافَةِ الغَربيَةِ وَ تَفكيكِ ما آحتَوَتُه مِن مَكنوناتٍ ميتافيزيقيَّةٍ في مِضمارِ الإبستِمولوجيا، فَأَحَبَ ذلكَ الطابِعَ التَدميري فيه.[٢٨] وَ كَذلكَ مَيله إلى الشِعريَّةِ وَ الفَنِ، وَ المعالِمِ الوجوديَّةِ الَّتي إشتَرَكَ فيها سارتَر فيما بَعد، وَشَكَلَتْ تِلكَ المشتَرَكات مَصدر إعانَة **لرورتي** في مَوقِفِهِ بِالضِدِ مِن الجَوهَريَّةِ أَو الماهَويَّة وَأَفكار التَعالي وَالميتافيزيقيات.[٢٩]

لكِنَهُ بِقَدَرِ تَأكيدِهِ عَلى هذهِ النَماذِج، إلّا أَنَّهُ يَرى أَنَّ ماقامَ بِهِ شَخصيَّاً مِن تَقديمِ قِراءَةٍ نَقديَّةٍ لِلمُنجَزِ الفَلسَفيِّ وَلاسيَّما الغَربيِّ مِنهُ لَمْ يَكُن لِيَتِم دونَما أَدَوات نيتشه وَدريدا عِوَضاً عَمّا وَفَرَتْه نَماذِج الثَورَة لَديه وَلاسيَّما البراغماتيَّة. وَفي تَوليفَة لإفاداتِهِ مِنَ الشَخصياتِ الآنِفَةِ نَجِدَه يَنسِجُ شَبَكة مَنفَعية في مَنهَجيَتِهِم وَأَفكارِهِم بِقَولِهِ: «إن ما يَلصَق دريدا بِالبراغماتيين الأَمريكيين وَالجَميع بِنيتشه، يَعود إلى النَزعَةِ القائِلَةِ إنَّ الفِكرَ وَاللُغَة لَيسَا مُحاوَلات لِلإتِصالِ بِالواقِع، بَل مُحاوَلات لِإيجادِ المزيد مِن الطُرقِ الخَياليةِ لِوَصفِ الواقِع. وَ مايَلصَق دريدا بفتغنشتاين يَعودُ إلى فِكرَةِ أَنَّ المعنى اللُغَوي لايُشَكِّلُ علاقَةً مَرجعيةً بَينَ الكَلِماتِ وَالعالَم بَل عِلاقَة بَينَ آستِعمالاتِ بَعض الكَلِماتِ وَ آستِعمالاتِ بَعضَها الآخَر»[٣٠]. وَيَنكَشِفُ أَثَر دريدا في كَونِهِ أَكسَبَ **رورتي** آليّاتٍ نَقْدِيةً تَمتاز بِالقوةِ في كَفاءَتِها التَحطيمية، وَكَذلِكَ أُسنِدَتْ لَهُ إمكانِية الإنتِقالِ نَحو مَجالٍ مُخالِف، لِما سادَ الفِكر الغَربي مِن هَيمَنَةِ المركَزياتِ، وَهُوَ مَجال الهرمينوطيقا. وَ «إذا كانَ ثَمَةَ مُمارَسَة يُمكنُها أَن تَجمَع بَينَ التَفكيكِ وَالتَأويلِ فَهيَ بِلا شَك نيوبراغماتيَّة **رورتي**. لايَتَعَلقِ الأَمر بِتَلفيقٍ أَو تَوفيق، لأَنَّ الطابِع العَمَليّ وَالبراغماتيّ لِفَلسَفَةِ **رورتي** يَتَحاشى السُقوط في السِجالاتِ القارِيَّة حَولَ "مِيتافيزيقا الحُضور" أَو "التَمَركز العَقلي" أَو "مُشكِل المعنى" ... وَلايَتَوانَ عَنْ إستِهجانِها داعِياً إلى تَغيير الأَسئِلةِ وَالإنفِتاحِ عَلى العَقْلِ العَمَلّي، أَو الممارسةِ الفِكريةِ كَمُشاركةٍ فِعليةٍ في الحِوارِ وَالمحادَثَةِ؛ أَو صِناعَة مَعرِفية تَنطَلق مِن "مانَحنُ عَليه بِالذات: نَحو "مايُمكن أَن نَتَصِفَ بِهِ أَو نَتَغَيرَ نَحوَهُ"[٣١].

وَقَد أَسهَمَ دريدا مُساهَمَةً فِعليةً، حَسبَ **رورتي**، في إدامةِ إتِقادِ نُورِ التَحَرُرِ، فَهُوَ يُعَدَّ جُزءاً مِن جوقَةٍ كَبيرَةٍ مِنَ الفَلاسِفة الأُوربيين، عَلاوَةً عَلى البراغماتيين الَّذِين كانَ هَمُهُم تَخليص الإنْسَان مِن وَهْمِ وجودِ ما يُسْأَلونَ أَمامَه غَيرَ ذاتِهِم. فَلا الواقِع، وَلامَرجِعية الحَقيقة المطلَقَة، وَلا الله المتعالي سَيُمَثِّلون لَديه مَحاكِمٌ لِلفِعلِ وَالفِكر.[٣٢] وَإستَطاعَ **رورتي** الإفادَة مِن نَقْدِ دريدا في تَشخيصِهِ لميتافيزيقا الحُضور بِوَصفِها مُنتَجَة لِسياقٍ يُمكِنُ أَن يُوَفِّرَ رُؤيةً لِمَساراتِ الأَشياءِ وَحَقيقَتِها وَذلكَ يَهدِمُ كُلَّ طَبيعَةِ الإستِقلاليةِ الَّتي تَهدِفُ إليها فَلسَفَتُهُ وَلِذلكَ فَهيَ فِكرَةٌ رَديئَةٌ يَجِبُ التَخَلي عَنها.[٣٣]

بل ينظر رورتي رؤية اكثر تطرفا او قد تكون اكثر تفاؤلا لشأن التفكيك والنقد الادبي التفكيكي وانعكاسه على الممارسة الحياتية بمستوياتها العامة في السياسة، اذ يرى ان هنالك ترابطاً وطيداًبي نالممارسات السياسية الراديكالية والنقد التفكيكي، وهو نتاج المنعطف اللغوي الذي احدثه الفلاسفة ونتج عنه استبدال مركزية الانسان باللغة، ولذلك يجد رورتي ان اقسا مالادب

([٢٨]) المرجع نفسه، ص٩٧.

([٢٩]) المرجع نفسه، ص٩٩.

([٣٠]) رورتي، ريتشارد، «ملاحظات فلسفية»، ترجمة محمد عبد النبي، **مجلة العرب والفكر العالمي**، العددان الثالث والعشرون والرابع والعشرون، ٢٠٠٨، مركز الانماء القومي، بيروت، ص٩٢.

([٣١]) محمد شوقي الزين، **تأويلات وتفكيكات: فصول من الفكر الغربي المعاصر**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط، ٢٠٠٢، ص١٨١.

([٣٢])يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «ملاحظات فلسفية»، ص٩١.

([٣٣]) يُنظَر: المصدر نفسه، ص٩٢.

والتخصص اللغوي في الجامعات عي التي تكون اكثر خصوبةً لتهيئة المبادرات السياسية والتغيير السياسي![٣٤] وَان كُنتُ لا أَرى لِذلكَ مُسوِغاً مَقبولاً فِي الرَبطِ، إلّا إنَّ رورتي لَمْ يَكنْ يُؤسس وَانَّما يَصِف لِحالاتٍ جزئية؛ والمشكلُ النَاتِجُ عَن ذلكَ هُوَ مَسألة التَعميم في رأيهِ هذا.

ولذلك نفهم رورتي بوصفه ناقدا للنزعة الاسسية، وذلك يحتوي انكارا لوجود بنى اولية راسخة او مرجعية عقلية، وغير تاريخية، أي يمكن ان تكون مطلقة الملكة ومعياريتها، وينكر بمعية انكار النبى العقلية، أي بنى لغوية تكون اساسا في تقرير الحقائق اللغوية، وينكر ثالثاً وجود أي ادراك حسي سابق على اللغة، ذلك لان مقولاتنا انما نبتكرها اثناء تعاملنا مع الخارج وهي بذلك دوما ماتكون عرضة للتغيير والتعديل والتحسين. وبما انه لاتوجد معطيات حسية موثوقة ومعصومة وسابقة على اللغة، فإن نزعة الاسس (التأسيسية) لن تكن موجودة؛ وبما انه لاوجود لاطر عقلية ثابتة حسب رروتي فان نزعة الاسس (التأسيسية) بصورتها العقلية لن تكن كذلك موجودة؛ وبما انه لاوجود لمعنى لغوي ثابت، فإن التأسيسية في صورتها اللغوية التي جاءت مع التحليليين ستكون مستحيلة الوجود.[٣٥]

لَيسَ بِالجَدِيدِ أَن تُصَبَّ النُقُودُ عَلى وَضعِ الفَلسَفَةِ، المنتِج عِبرَ تاريخ الفكرِ الغَربيَّ، بِوَصفِهِ نِظامَاً مَعرِفياً مُتَمركِزاً وَ تَمثيلِيّاً. أو مرآةً للطَبيعةِ: إنعِكاسٌ، عَلى خَيرِ صُورةٍ، لِما هُوَ خارِجيّ. ذلكَ النَقد الَّذِي يَجُرُّ وَراءَه كُلَّ الإنّهمامات بِفَحصِ وَ تَنقيةِ وَ إزاحةِ ما رَسَّخَ الفَلسَفَةَ جَذراً، وَ رَفَعَها عَاجيّاً، فَكانَ حَرِيّاً بِها أَن تُعيدَ النَظَرَ بِتَصويرِ الفَلسَفةِ تاجاً، أو أُمّاً، أو ذات المكانةِ العُليا وَ الَّتي تَتَبَوءُ مَنْصِبَ البَتِّ وَ الحُكم، وَ سُلطَة المعيار لِما هُوَ حَق مِما هُوَ دونَه! كُل ذلكَ تَعَرَضَ لِهَجَماتِ مُفَكرِي مابَعدَ الحَداثَةِ مِن جُذُورِها مَعَ نيتشه وَ هايدغر وَ حَتى دريدا وَ **رورتي**. إلّا أَنَّ إسهامَة الأَخير تَأتي في التَأكيدِ عَلى ضِديات النظمية والتمثل، مِن مَوتِ الفَلسَفَةِ- النَسَقية وَمُشتَقاتِها.

وَ مِن أَجلِ مَعرِفَةِ النَقْدِ الموجَهِ لِهَيمنةِ وَ عُلوِّ الفَلسَفَةِ كَقاضي أَعلى لِلمَعرِفَةِ وَ الثَقافَةِ يَلزَمُ أَن نُوجِزَ صُورَة لركائزِ تِلكَ النَتيجةِ الَّتي وَصَلَتْنا بِها الفَلسَفَةُ، وَ الَّتي تُمارِسُ دَورَها، اليوم، إنطِلاقاً مِنها. وَ تِلكَ الصورة هِي ما تَشَكَلَ تاريخيّاً في العَصرِ الحَديثِ (بالرغمِ مِنَ الجُذورِ الَّتي تَضرِب بِالقِدَمِ داخِلَ العَقْل الغَربي وصولاً إلى أَفلاطون) الممتَد مِنَ القرنِ السابِع عَشَر وَ حَتى ما قَبْل إنهيارِ مَركزيات السَرديات الكبرى في القَرنِ العِشرين. وَ يُشَخِّص **رورتي**، لِذلكَ المنتَج الفِكري (الإبستِمولوجيا= الفَلسَفَة)، لحَظاتٍ عِدَة مِنها:[٣٦]

١- لَحظَةُ المعرِفَةِ بِوَصفِها فَهْماً للعَملياتِ العَقْليةِ مَعَ لوك؛ وَ لِلَحظَةِ تَصور العَقْل كَكيانٍ مُنفَصلٍ تَجري فيهِ عَمَليات التَفَكُر مَعَ ديكارت، وَذلكَ في الحُقبَةِ الممتَدةِ عَلى طُولِ القَرنِ السابِع عَشَر.

٢- لَحظَةُ ٱنبِثاقِ الفِكرَةِ الَّتي تَحسَبُ الفَلسَفةَ مَحكَمَةً للعَقْلِ الخالِص– المجَرَدِ والَّتي بيَدِها إثباتِ مَزاعِمِ بَقيَةِ الثَقافَةِ مِن عَدَمِها، وَ ذلكَ ما تَرافَقَ مَعَ كانْط وَ مُنجَز القَرنِ الثامِنِ عَشَر.

٣- وَ كَذلكَ كانَ للكانْطيين الجُدُد (في القَرنِ التاسِعِ عَشَر) أَثرٌ في تَعزيزِ تَصورِ الفَلسَفَةِ بأَنَّها العَمَلُ بإتجاهِ التأَسيسِ وَ التَنظيرِ العالي الَّذِي يُسَوِّغُ مَزاعِمَ المعرِفةِ.

٥-وَ في القَرنِ العِشرين كانَتْ لأَفكارِ كُلٍّ مِن رَسل وَ هوسرل مَهَمَةُ تَرسيخِ أَحكامِ اللُغَةِ الفَلسَفيةِ وَ جَعلِها أَكثرَ عِلميَّةً وَ صَرامَةً لُغَويةً.

([٣٤]) يُنظَر: رورتي، ريتشارد،« التفكيك»، ضمن كتاب : مجموعة مؤلفين، **البنيوية والتفكيك: مادخل نقدية**، ترجمة حسام نايل، ط١، ازمنة للنشر والتوزيع، عمان –الادرن، ٢٠٠٧، ص٢٠٩-٢١٠.

([٣٥]) يُنظَر: صلاح اسماعيل، **البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي**، ص١٢٨-١٢٩.

([٣٦]) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، ص٥٢-٥٣.

لَيسَ أَصحَابُ المذهَبِ التَمثيلِيِّ إلّا واقِعيونَ بِالضَرورَةِ، هَكَذا عَبَرَ **رورتي** عَنهُم. «ذلِكَ لأَنَّ الواقِعيينَ يَعتَقِدُونَ بِوجودِ طَريقَةٍ واحِدَةٍ، واحِدَة فَحَسبْ، يَكونُ فيها العَالَمُ بِذاتِهِ، وَ أَنَّ هُناكَ مَجالاتٌ "قاسِيَّةٌ" [صلبة] مِنَ الثَقافَةِ تَتَجَلّى فيها هذهِ الطَريقَة. وَ يَقولونَ إنَّهُ وَ في تِلكَ المجالاتِ هُناكَ "حَقائِقَ المادَةِ" الَّتي يَجِبُ إكتِشافُها، بِالرَّغمِ مِن عَدَمِ وجودِها في المجالاتِ الأَكثَر لُيونَةً. وَ في الجِهَةِ المقابِلَةِ، يَعتَقِد المناوِئون للمَذهَبِ التَمثيلِيِّ: إنَّ التَقَدُّمَ العِلميَّ، هُوَ كَالأَخلاقي، مَسأَلَة لِلبَحثِ عَنْ طُرقٍ أَنجَعِ لإغناءِ الحياةِ البَشَريةِ»[٣٧]، ذَلِكَ الضِّدُّ الَّذي سَيَعمَلُ عَلى رَسمِ مَلامِحِهِ في فَلسَفَتِهِ التَهذيبيَّةِ وَ سنَتَطَرقُ لَهُ في مِحورٍ آخر مِن بَحثِنا.

هكذا بَدَأَتْ نَظَرِيَة المعرِفة، وَ تأَسَسَتْ عَلى أَنَّها تَمَثُّلٌ لِلواقِعِ عِبرَ مَنظومَةٍ فِكريَّةٍ. وَ في مُقابِلِ ماسَبَقَ (مِن التأَسيسِ وَ بِدايَةِ لارهاصاتِ إنهيارٍ وَ مَوتٍ. مِثلُ هكَذا تَصورٍ فَلسَفيٍّ يَأخُذُ بيَدِ التَأَسيسيَّةِ غَايةً وَ مَنهَجاً لَه) ظَهَرَتْ حالاتُ ٱنفِصالِ العُلَماءِ عَنْ المفكِرين/الفَلاسِفَةِ، وَ ٱنفِصالِ الشُعَراءِ وَ تَحَوُلِهِمْ لِيَقومُوا بِمَهَمَةِ الوَعظِ وَ الإرشادِ وَ التَوجيهِ الأَخْلاقيِّ. وَ بَدَتْ الفَلسَفَةُ كُلَّما هَدَفَتْ الدِقةَ وَ العِلميَّةَ كُلَّما إزدادتْ ٱبتِعاداً عَنْ العُلومِ وَالمعارِفِ وَ الثَقافاتِ الأُخرى. ذلكَ الابتِعاد الَّذي حَدى بِها إلى أَن تَكون مَستَهجَنَةً وَ غَير مُبالٍ بِها وَ بِخِطابِها.[٣٨] بَل إنَّنا لايُمكن أَن نَتَصَوَّرَها اليومَ، بِلا طابِعِها التَعَلُقِيِّ وَ الٱقتِحاميِّ مَعَ العُلومِ وَالمعارِف الأُخرى، شَيئاً يُذكَر، أَو بِلُغَةٍ أَكثَر إنصافاً، شَيئاً يُؤثِر.

وَيَرى **رورتي** أَنَّ مُشكِلَةَ مَفهومِ المطابَقَة الواقعية وَحُلولِها لَيسَتْ إلّا نَوعاً مِن الميتافيزيقيات الَّتي حَكَمَتْ ذِهْنَنَا بِوَصفِها حُضوراً دائِماً لِلتَقَرُبِ مِن العَالَمِ، شَأنُها شَأنَ المعتَقَد الديني في مُقارَبَتِهِ لِذاتٍ إلهيّةٍ، مُفارِقَةٍ لِذَواتِنا، يَجِبُ الرُجوعُ لَها! فَقَد أَورَد في مَقالةٍ لَه بِعنوانِ **"البراغماتية كَضد للفاشستية"** حَاوَلَ النَظَر إلى المطابَقاتيةِ، بِإدعائِها للحَقيقةِ المطلَقَة دَوماً،كَصُنْوٍ لأَفكارِ الإحالَةِ الدِينية؛ فَما يَتَضَمَنُهُ الإخلاصُ للإعتِقادِ بِالواقعيةِ هُوَ نَوعٌ مِن ضُروبِ الإيمانيات، وَ إن مُصطَلَح الواقعيةِ، بِحَدِّ ذاتِهِ، لايَتَعَلقُ بِالإهتِماماتِ، وَ الحاجاتِ، وَ المنافِعِ البَشَريةِ، بَل هي جُزءٌ مِن الخُنوعِ لِربٍّ مُصطَنَعٍ آخرٍ خارِجِ الذاتِ. لِذلكَ هي تَحمِلُ دَلالَةَ النُسْخَةِ العَصْرِّيةِ للرَهْبَنَةِ وَ ٱمتِلاك القُربِ مِن الرَبِ أَكثَر مِن غَير القائِلين بِالواقِعيةِ، لأَنَّها تَقتَضي وجودَ طَبيعَةٍ مُعَقَّدةٍ للواقِعِ يَجِبُ طاعَتُها.[٣٩] أَي: تَمَثُّل لأَفكارٍ عَنْ ذلكَ الواقِعِ وَ الإحتِكامِ فيما بَعد لِصورٍ ذِهنيةٍ تَعْمَلُ بِمَرجِعيةِ واقِعٍ خارِجٍ عَنها. وَ ذلكَ مُستَنكَرٌ لَدى **رورتي** لِسَبَبَينِ: الأَول، إنَّ المرجِعيةَ مُطلَقَةٌ. وَ الثاني، إنَّها خارِجةٌ عَنْ ذَواتِنا كَمَرجِع؛ لِذلكَ فَإن الإعتِماد عَلى النَفْسِ يَنعَدِمُ وَ يَتَحَوَلُ الإستِقلالُ إلى تَبَعيةٍ. وَ عَلى ذلِكَ سَعى إلى العَمَلِ بِإتِجاهٍ مُضادٍ وَمخالِفٍ للتَمثيلية وَ نَقْدِها مِن طَرَفٍ، وَكَشفِ مَعالِمِ الإستِقلال وَالإنْسَانوية مِن الطَرَفِ الآخَرِ.

وَيُعَدُّ المذهَبُ المناوِئُ لِلتَمثيليةِ أَحَدَ الأَشْكَالِ الَّتي تَضَمَنَتْ مَبدَأَ الإستِقلالِ وَ الاعتِمادِ عَلى النَفْسِ. بدلاً مِنْ ٱعتماد ماهوَ خَارج عَنها؛ وَ مِنْ التَشخيصاتِ الأُخرى الَّتي تَسنِدُ هذا التَصور بِتفصيلٍ أَكثَر: ماقَدَمَهُ ديوي في مَوضوعَةِ الديمقراطية وَ الَّذي يَجعَلُ مِن مُمارَسَةِ تَبادُلِ الآراءِ بِحُريةٍ كَماهيةٍ للديمقراطيةِ مَسأَلة تَتَماهى مَعَ الحَقيقَةِ لأَنَّها نِتاجُ مَقبوليةٍ حِواريةٍ وَ الديمقراطية، حَسبَه **رورتي**، لاتَقبَل الأُمورِ عَلى حَالِها، وَدَيمومَة بَقائها بِنَوعٍ مِنَ السُكُونية لأَنَّ ماهيَتَها تَقتَضي السَّيرورةَ. وَ لِذلكَ، رَأى **رورتي** في ديمقراطيةِ ديوي شَكْلاً لإنتاجِ مايُمكِن إنتاجُهُ مِن الصِّيغِ الجَديدَةِ وَالحُرةِ للإنسانيةِ في الحِوارِ وَالنِقاشِ وَعَدَمِ التَسليمِ لِماهُوَ مُرتَكزٌ كَمُطلَقٍ بَل مايُمكِنُ أَن نَصنَعَهُ وَ نَضَعَهُ مِعياراً لِحَياةٍ أَحسَن. وَ يَرتَبِطُ كُل ماسَبَق بِما يُقَدَم مِن تَصورٍ للإستِقلالِ في الفَنِ

---

(٣٧) رورتي، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، تَرجَمة فريق الإنماء القومي، **مجلة العرب والفكر العالمي**، العددان الثالث والعشرون والرابع والعشرون، ٢٠٠٨، مركز الانماء القومي، بيروت ص٨٠.

(٣٨) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٥٣.

(٣٩) يُنظَر: المصدر نفسه، ص٨٠.

أَيضَاً. فالإستِقلاليةُ الفَنيّةُ الَّتي يَلزمُ أَن يَتَمَتَعَ بِها فَنانٌ وَشاعرٌ وَرَسامٌ وَمِعماريٌّ اليومَ هي نَوعٌ مِن الإعتِمادية عَلى النَفسِ تِلكَ الَّتي تَدفَعُهُ بِإتِجاهِ الإبداعِ.(٤٠) وَالإبداعُ يَحمِلُ في طَيّاتِهِ مَعنى رَفضِ المُحكاةِ لِنَماذجَ حُكمِيّةً وَ مِعياريّةً خارِجةً عَنْ ذات الفَنان مِن جِهة، وَ مُتَخَلِصةً مِن مَفهومِ الكاملِ الميتافيزيقي مِن جِهةٍ أُخرى. وَعَليهِ فَعَلى الفَن أَن يَعمَلَ مِن أَجل إبداعِ الذَوقِ. وَتِلكَ الممارسات مِن الخَلقِ لِلجَديدِ وَ المبدَع هي صِناعاتٌ سَتُقَيِّم بِلا مايَسبق، أَو بماهُوَ خارِجٌ عَنْ الإنْسَان، لأَنَّها عَمِلَتْ بَمنطِقِ اللاتَمَثُل وَ إنتَزَعَتْ جِلدَ الضَياعِ وَ التيهِ الميتافزيقي لِصالِحِ مَرجِعياتٍ مابَعد ميتافيزيقية. وَبناءً عَلى ماتَقَدَّمَ، فَإنَّ مَفهومَ الحَقيقَةِ التَقليديةِ الناتِجِ مِنَ التَصوراتِ الميتافيزيقيةِ، وَالتَمثيليةِ قاطِبةً يُعَدُّ لامَعنى لَهُ عَلى سَبيلِ البراغماتيةِ الجَديدَةِ، فأَعلَن تَنحِيَة فِكرةِ اللهِ وَ كُلُّ مَرجِعٍ خارِجٍ ذَواتِنا عَنْ كَونِه ناموساً للحَقيقةِ وَ ذلكَ يَجعَلُنا نَتَنازَل لِزاماً عَنْ مَفهومِ الحَقيقَةِ ذاك.

ويَعدُ رورتي عَصر ديوي زَمناً للإبداعِ البراجماتيِّ الأمريكيِّ، وٱنتعاشِ المؤسسةِ الأكاديميَّةِ الفَلسَفيَّةِ، فَقَدْ أَصبحَتْ الأخيرة، حسبه، بمثابَةِ «محراب مُتَميّز لٱستقبالِ المحاوَلاتِ التي كَانَتْ تبذل لتَجديدِ النِظامِ الٱجتماعيِّ الأمريكيّ، وانضمتْ إليها الفَلْسَفَة الأمريكيّة في الدعوة الى مثل هذا التجديد، وكذلك كانت دَعوة ديوي التي رَفعتْ راية الفَلسَفة الأخلاقيّة بٱعتبار انها ليستْ شكلاً لمبادئ عَامة تَقوم بوظيفتها كبديلٍ عَن الأوامرِ الالهيّةِ؛ وَ إنَّما تَطبيقاً للعَقلِ عَلى المشاكِلِ الٱجتماعيّة»(٤١) وذلك ايماناً من رورتي بأهميةِ المرجعيّة الٱجتماعيّة للفَلسَفَةِ والإنعكاس كوظيفة للفلسفة عَلى المجتمع، وَيُقرر نجاحات الفلسفة في ذلكَ المضمار بالرغمِ من عَدمِ قَبولهِ لِصورةِ الفَلسفةِ المنتَجة مع التقليدين أو النسقيين، كما يسميهم، يقول رروتي: «على الرغمِ مِن أنَّ الفلسفةَ، ليسَ لها ماهيّة، الا إنَّ لها تاريخاً، وعلى الرغم من اننا لانستطيع أن نُدركَ نُقطة البداية، في مسار الحركة الفَلسَفية أو العودة اليها،... فَإننا مع ذلك قد نستطيع أحياناً ان نشير الى أُسس قويَة لنتائجها الٱجتِماعيّة»(٤٢)، وَسيبقى ديوي لَدى رورتي مَصدراً للاستعارةِ والتأويلِ حتى يَصبح كسقراط افلاطون.

وَ تَتَضِحُ ٱستِعاراتُ **رورتي**، بِقوةٍ، مِن ديوي في مَسأَلَةِ المناهَضَةِ لِلميتافيزيقا وَفي مَسأَلةِ إنعِدامِ وجودِ مَحكَمَةِ إستِئناف أَعلى مَرتَبَة مِن الإتِفاقِ وَالإجماعِ الديمقراطيِّ الصِبغَة، وَهي الفِكرَةُ ذاتُها الَّتي يَعودُ لَها هابرماس تَناصَّاً مَعَ ديوي في نَموذجِهِ عَنْ التَشاوريةِ الديمقراطيةِ الهادِفةِ للإجماعِ.(٤٣) إلَا أَنَّ مايُخالِفُهُ **رورتي** في هذهِ الفِكرَة هُوَ أَنَّ هابرماس يَعمَل بِإتجاهِ الكَوني بِوَصفِهِ إطاراً لِلفَلسَفَةِ وَ أسئِلَتِها وَ حُلولِها، بَينَما يَعمَل **رورتي** بِإتجاهِ الخاصِ التَضامُني الَّذي سَيَنحَصِر في بِيئةٍ مُجتَمَعيةٍ مُقتَصِرةٍ عَلى أُمَّةٍ مِن الأُمَمِ أَو بَلَدٍ مِن البُلدانِ.

بَدَأَ التَحولُ وَالإنعِطافُ عَنْ مَسارِ الحَقيقَةِ المرتَبِطة بِالتَطابقِ مَعَ الواقِعِ (عَلى سَبيلِ المرجِعِ وَالمطلَق) بِتَأثيراتٍ نَقديةٍ وَتَأسيسيةٍ مَعَ المِثاليين، إلّا أَنَّها تَنامَتْ مَعَ فَلاسِفَةِ الإختِلافِ وَ النَصِّ، لِتَصبحَ أَكثَر مُلاءَمَةً؛ حَتى إتَضَحَتْ بِصورةٍ جَليّةٍ، مَعَ طُروحاتِ البراغماتيةِ الجَديدَةِ، في أَنَّها تَعمَل بِضِدِ التَمَثُلِ وَ التَأسيس.

وَيَرى **رورتي** أَنَّهُ يُمكن التَشكيك بِفِكرَةِ المطابَقةِ حَتى التَخَلي عَنها، كَما يُمكِنُ هَزُ عَرشِ التَمَثُليةِ عِبرَ الإعتِمادِ عَلى ماجَاءَ مَعَ الكَثيرِ مِن فَلاسِفَةِ القَرنِ التَاسِعِ عَشَر مِن إعتِقادٍ بِأَنَّه يُمكن إختِزال

---

(٤٠) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «ملاحظات فلسفية»، ص٩٢.

(٤١) رورتي، ريتشارد، «حول التراكيب البنائية الهزيلة، التحليلات المهنية وثقافة التراث»، ضمن كتاب: بيتر كاز (اعداد)، **تاريخ الفلسفة في امريكا خلال ٢٠٠ عام**، ترجمة حسني نصار ومراجعة مراد وهبه، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ب.ت، ص٤٥٠.

(٤٢) المصدر السابق ، ص ٤٤٩.

(٤٣) حوار مع ريتشارد رورتي: «التخلي عَنْ عادة الفلسفة»، حاوره سكوت ستوسيل، ترجمة مصطفى ناصر، **مجلة الثقافة الاجنبية**، العدد الرابع، ٢٠٠٩، دار الشؤون الثقافية، العراق، ص٧٢.

الوجود بِأَفكارٍ فَقَط. وَ الإعتِماد عَلى ما بَرَزَ في القَرنِ العِشرين مِن إتِجاهٍ جَديدٍ لايَرى سُوى النُصوص مَوجوداً. وَ يُسَميهم **رورتي** بِالنَصّيين وَ يُصَنَف أَكثُرهُم في حَقلِ النَقدِ الأَدَبي مِثل بلوم وَ هارتمان وَ بول دي مان وَ مابَعد البِنيَوية مِثل دريدا وَ فوكو وَ مُؤَرخين وَ أَغلبهم أنطَلَقوا مِن هايدغر. وَ لَدى هذهِ الحَرَكَة النَقْدية حَلْقَة صِلَة بِمِثالية القَرنِ التَاسِعِ عَشَر وَ ذلكَ في تَشابُهِهما بِعَدائهما لِهَيمَنَةِ العِلمِ الطَبيعي أَو مَناهِجِهِ. وَالتَشابه الثاني: إنَّهما قالا بِأَنَنا **لايمكن** أَن نُقابِلَ فِكر الإنْسَان أَو اللُغَة بِالواقِعِ مُطابَقةً، فَيَنتِجُ مِن ذلكَ مَفهومٌ لِلحَقيقَةِ. وَذلكَ جاءَ عَلى لِسانِ المِثاليين أَيضاً بِكَلِمَةٍ أُخرى: لايُمكنُ أَن تُمَثِل الفِكرَةَ إلّا فِكرَة أُخرى.(٤٤) وَ لِذلكَ يَتَقَوَضُ مَفهومَ التَطابُقِ مِن جِهَةٍ، وَ مَفهوم التَمَثُل مِن جِهَةٍ أُخرى. وَ لأَجلِ ذلكَ يَعمَل **رورتي** صَوبَ نَوعٍ مِنَ الممارسةِ الفَلسَفيَةِ (المحادَثيةِ).

وَ بناءً عَلى ماسَبَق، بَدَتْ الحَقيقَةُ وَ كَأَنَّها حَيزاً لِلتَناوُلِ النِقاشيِّ وَ الكَلاميِّ؛ فِكرَةً بِفكرَةٍ، وَ كُلها لامَرجِعَ ثابِت لها. وَ هُنا تَتَقَوَض التَمثيليَّة، وَيَظهَرُ نَتيجة لِما أُورَدناه سابِقاً، أَنَّ **رورتي** ضِد كُل النَّزعات التَأسيسية مِنَ التَمثيلية وَالمرآوية وَالنَسَقية وَالواقِعية. وَالحَق، أَنَّها كُلَّها صُورٌ لِمَنهَجيةٍ واحِدَةٍ تَعتَمِدُ مُنجَزَ نَظَريةِ المعرفةِ أُسّاً لَها. لِذلكَ فَهُوَ (**رورتي**) يَكشِفُ عَنْ صُورَة هذهِ الفَلسَفات، وَماتَتَضَمَنُهُ مِن تَفَّرعاتٍ في كَونِها تَشتَرِك في الإنصِهارِ في الإبستِمولوجيا، وَالَّتي تَستَدعي رَغبةً في التَقييدِ وَالتَحديد، عَلاوَة عَلى الرَغبَةِ وَالتَطَلُعِ إلى إيجادِ أُسسٍ لِكي يَتَعَلق بِها الإنْسَان وَيَتَمَسَك. كَما أَنَّهُا تَبحَثُ عَنْ أُطرٍ أَو مُخَطَطاتٍ لا يَتيهُ أَحَد فيها، ذلك إن مَشى سَبيلها وَلِذلكَ فَهي تَفتَرِضُ أَشكالَ تَمثيلٍ لايُمكِنُ مُقاوَمَتُها لِكَي تَصبَحَ مِعياراً.(٤٥)

تَظهَرُ قِيمَةُ الفَلسَفةِ، بَعدَ التَخَلي عَنْ إنَموذَجِ التَمَثُّل وَالمطابَقَةِ وَالمرآوية، في تَحَوُلِها نَحوَ تَمجِيدِ الخَيالِ وَالشِعريةِ وَالمنعَطَفِ الرومانطيقي. تَعمَلُ بِصَدَدِ صُنعِ الأَفكارِ وَالأَطوارِ الجَديدَةِ مِنها فَوقَ حَتمياتِ العَقْلِ، كَما مَعَ الفَنانِ وَ إستِقلالِيَتِهِ وَالوَصفِ البراغماتي وَعَمَليتِهِ هَدَفاً في تَحقيقِ أَهدافٍ إنسانيةٍ أَكثَرَ مِن أَن تَكونَ الفَلسَفَةُ مُحاوَلَةً في الإخلاصِ لِلواقِعِ وَالدِقَةِ. وَفي الوَقتِ نَفسِهِ فَإِنَّ نَقْدَ الميتافيزيقا الَّذي أَصبَحَ صُورَةً لِلفَلسَفَةِ في المئتي سَنة المنصَرِمَة وَأَخَذَ يُعَلِّمُنا مالا يمكننا الحُصولُ عَليه وَمالا يُمكِنُ أَن نَرغَبَ بِهِ. إلَا أَنَّهُ لَمْ يَكُن لَدَيه القُوّة التَسويغية كَنِظامٍ فَلسَفي لأن يَمنَحَنا الوَصفَةَ وَالنَصيحَةَ حَولَ مايُمكِن أن نَحصَلَ عَليه أَو نَرغَبَ بِهِ.(٤٦) وَعَليهِ فَقَدْ عَجَزَتْ الفَلسَفَةُ، بَعدَ نَقدِها لِلميتافيزيقا، عَنْ أَن تُقَدِمَ مَشروعاً خَلاصِياً لايَتناقَضُ أَدائِياً مَعَ مُبتَنَياتِه التَحَرُرية؛ فَأَدى إلى الإنقيادِ مِن جَديد لِصَنَميةِ المطابَقاتية لِلواقِعِ، وَضَياعِ الإنْسَانِ في قِيَمٍ خارجةٍ عَنه، وَمَعايير لاتَخضَع لإرادَتِه. وَهُنا تَبدَأ مَسيرة مَطلَب العَرَضية وَالتَهذيب بَدَل القَسر النَسَقي وَالتاريخاني الحَتمي وَالمعقولية بِما هيَ خارِج عَنْ الإنْسَان. وَمايَخرج مِن تِلكَ القَسرية هُوَ الخَيال الإنْسَاني، فَالخِبرات المتاحَة للإنسانِ هِيَ ماتَستَطيعُ أَن تُعْطِيَ مَعنى لِحياتِهِ. وَلَو راجَعنا بَعضَ نُصوصِ ديوي لَوَجَدنا **رورتي** مُوالياً وَطالِباً مُخلِصاً لَه. يَقولُ ديوي: «إنَّ الخِبرَةَ الإنْسَانية تَتَشَكَلُ مِن وجودِ مَجموعَةٍ مِن العَلاقاتِ وَالرَوابِطِ وَالذكرياتِ الَّتي يَتِمُّ تَوسيعُها وَالتَحكم بِها عَنْ طَريقِ التَخيُلِ»(٤٧)؛ فَالتَخَيُل هُوَ أَداة التَحَرُر وَاَستِعادَةِ الإنْسَانِ وَهُوَ ماسَيُشَكِلُ المادَة الأَساس وَالخام لِلدفع بِإتِجاهِ تَحصيلِ الخِبرَةَ الإنْسَانية الَّتي سَتوَجَهُ فِيما بَعد لِحَلِ أَيِّ أَزمَةٍ يُمكِنُ أَن تُواجهَنا في الحَياة عِبرَ إخضاعِها لِلفَحصِ الِحجاجي المحادَثي.

---

(٤٤) Richard Rorty, **Consequences Of Pragmatism** (**Essays**: **1972–1980**),University of Minnesota Press Minneapolis, 1994,p.139.

(٤٥) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٤١٩.

(٤٦) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، «ملاحظات فلسفية»، ص٩٣.

(٤٧) ديوي، جون، **إعادة البناء في الفلسفة**، ترجمة وتقديم احمد الانصاري، ومراجعة حسن حنفي، ط١، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص١٠٧.

وَيَقومُ مَفهوم التَهذيبية وَالمحادَثَة الَّتي يَبتَغيها **رورتي** عَلى أَعمِدَةٍ نَقديةٍ وَإنجازاتٍ نَظَريةٍ، مِنها: ماقَدَّمَهُ سِيلارز وَكواين وَديفدسون في نَقدِهِم لِلمُنجَزِ التَحْليْليِّ وَفي تَمييزاتِهِم اللُّغَوية وَقواعِدِها وَمحَل الواقِعِ وَ الأَثَرِ الاَجْتمَاعي مِنها، وَ أَفادَ مِن غادامير في مَوضوع التَنشِئَة/ التَهذيب.(سَنُبَينُ ذلكَ في مَوضوعِ التَهذيب وَالأَمل بَدَلِ المعرِفة).

المحور الثالث:

هَل مِن مَنهَج؟ أَو في التَهذيبية، وَالمحادَثة.

-المَنهَج الإتفاقي وَبَرامِج البَحث:

يُتَصَوَر المنهَجُ عَلى هَيئَةِ إطارِ خَطَواتي يَقودُ لِزاماً إلى نَتيجَةٍ مُتَوَخاةٍ، يُؤدي الباحِثُ فِيه دَورَ المنَّسِقِ وَالكاشِف وَالمحَلِل وَالمتَّوقَع، بُغيَةَ أَن يَصلَ إلى مايَنشُدَه. إلّا إنَّ هذهِ الفِكرَة لَم تُلاقِ قَبولاً لَدى **رورتي**، ذلكَ لأَنَّها في مَضمونِها تَستَدعي هَيمَنَةً وَقَسراً نِظاميّاً وَتَأَسيسيّاً، تُحَول الإنْسَان إلى آلَةٍ مُسَيَرةٍ بِدَربِ المؤَكَد وَالحتمي!

وَهُنا مِعوَلٌ نَقديٌّ آخَر لِماجاءَتْ بِهِ الإبستِمولوجيا مِن حُجَجٍ في قَصرِها لِلفَلسَفَةِ بِنَظريةٍ في التَمَثُلِ وَالتَأَسيس وَالمطابَقَة. وَ لِذلكَ فإنَّ ضَياع التَمَثُل يَعني ضَياعَ مَفهوم جَوهر أَو حَقيقة خافِية وَثابِتة يُمكِنُ الإمساك بِها، وَذلكَ فَحوى لاجَوهَرانية **رورتي**، أَي هُوَ بِالضِدِ مِن نَموذجِ التَفكيرِ الماهوي، وَيَعني ذلكَ أَن تَكون هُنالكَ حَقيقة في الخارِجِ عَنّا، وَيَجبُ الوصول لَها كَهَدَفٍ بَحثي، يُعَدُ أَمراً لاغِياً وَبِلامَعنى.

وَكانَتْ قَد أَكَدَتْ البراغماتية مُنذ تَأَسيسها مَعَ بيرس وَإلى **رورتي**، عَلى إنتِفاءِ مَفهوم وَواقِعِية الحَقيقَة المطلَقة بِوَصفِها مَرجِعَاً أَو مِعيارَاً، وَهذا الصِنفُ مِنَ التَفكيرِ مابَعد الميتافيزيقي جَعَل الفِكر خالِقَاً أَو مُنشِئاً لِما يَجب أَو مِنَ الأَفضَل فِعله. لِأَنه يؤَدي إلى نَتائِجَ مَطلوبَةٍ أَو مَقبولَةٍ أَو مُفَضَلَةٍ وَناجِحَةٍ، وَإن جاءَتْ بِهذِهِ النَتيجَةِ فَتِلكَ حُدود الحَقيقَةِ.

وَلِذلكَ، **فَرورتي** يَرى أَنَّهُ لايُوجَدُ بَرنامَجٌ بَحثيٌّ كَما كانَ كَانْط يُقَدِمَه أَو مَاقُدِّمَ مِن وَقتِهِ وَإلى حَتى القَرنِ العِشرين وَالكانْطية الجَديدَة، لِتَجِدَ نَفسَها اليَوم مَحرومَةً مِنَ الموارِدِ الدِفاعِية، مِمّا إضطَرَها إلى طَي خِيامِها وَالرَحيل. لكِن يَلزَمُ هُنا تَسجيلُ الملاحَظَاتِ النَقدية لِذلكَ التاريخِ وَالسَرديات مَرَةً أُخرى، وَيَتَضِحُ مَدى أَهميَتِه لِنُؤَكِد ضَرورَة إدراك أَنَّ الوَقتَ قَد حان لِمحاوَلَة شَيءٍ جَديد. وَيُعتَقَد أَنَّ رَفضَ **رورتي** لِمَفهومِ التَماثُلِ الواقِعي لِلحَقيقَةِ يَصِل إلى شِكلٍ مُتَطَرِفٍ لِلمثالِيةِ اللُّغَوية، فَإذا كانَتْ مُعتَقَداتُنا لاتُجيبُ العَالَم فَالحَقيقَةُ هي شَيءٌ نَحنِ نَصنَعُه: وَفِكرَةُ الحَقيقَةِ الموضُوعِيةِ تَختَفي بِوساطَةِ المجلس (أَو الهَيئة) الَّتي تَأَخذ عَلى عاتِقِها أُمور الصِناعَةِ تِلكَ.[٤٨] وَهُنا يَستَنتِجُ **رورتي** مِن نَقضِ وَتَفكيكِ دَعائِم التَطابُقيةِ وَصَرامَتِها المفتَرَضَة وَالهَدَف الموضوعي وَمِثالِيَته، إنَّنا يَلزَمُ أَن نَتَوَجَهَ صَوبَ نَوعٍ مِن التَضامُنِ في أُطرٍ خاصَةٍ، وَمَنهَجية إنّية وَإتِفاقية في صُنعِ الحَقائِقِ وَإعتِمادِها. وَذلكَ يَستَدعي العارِض وَالمؤقَت دَوماً. وَهذا يَعني إنتِفاء المنهَج الهادِف لِتِلكَ الحَقائِقَ الَّتي تَضَمَنها التَصور غَير المسَوغِ لِلواقِعِ وَكَأَنَّهُ مُستَقِلاً عَنّا.

يَقولُ **رورتي**: «إذا ٱستَخدَمَ المرءُ المصطَلَحَ "مَنهَجاً" تَرادُفَاً مَعَ "بَرنامَجِ بَحثٍ" أَو "فِكرَةٍ رائِدةٍ"، أَو "بَصيرَةٍ أَساسيةٍ"، أَو "تَحفيزٍ أساسي". فَإنَّ هكذا إستعمالاتٍ [تُعدُّ] مُضَلِلَةً. فَمُصطَلَحُ "المنهَج" يَجِبُ حَصرَه بِالعَمَلياتِ المتَفَقِ عَليها لأَجلِ تَسويةِ الخِلافاتِ بَينَ المزاعِمِ المختَلِفَة.»[٤٩]

---

(٤٨) Charles Guignon And David R. Hiley (Edited), **Richard Rorty**, Cambridge University Press, United Kingdom, 2003, p. ٦٩.

(٤٩) رورتي، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، ص٨٧.

أَي إنَّهُ يَهدِفُ، بَعد نَقدِهِ لِلنَسَقِيَةِ، إلى إبرازِ مَفهومِ التَهذيبِ، بِوَصفِهِ القُدرَةَ عَلى الإنفتاحِ وَالإستِماعِ لِلآخَرِ وَتَفَهُمِهِ، وَمُحاوَلَة التَعايُشِ مَعَه، أَي داخِل المختَلِف وَبِالمختَلِف وَمَعَ المختَلِف، إعتِراف بِحَقِ الآخَر في الوجودِ دونَما أَن نُحلِيه إلَينا أَو نَلغي آختِلافِهِ.[٥٠] وَهُنا تَبدو مَهَمَةُ الفَلسَفَةِ خارِجَ إطارِ رَسم الإستراتيجياتِ لِلوصولِ إلى الدِقَةِ وَالحَقيقَةِ، وَالإستِعاضَة عَنها بِبَدَلِ الإتِفاقِ وَالبَرمَجَة مِن أَجلِ الرِضا والقَبولِ وَالتَهذيب. وَذلكَ مايَأخُذُ مَعنى عَمَلِّياً أَكثَر مِن كَونِه إنعِكاسِياً – تَأَمُلِيّاً يُحاوِلُ المطابَقَةَ أَو المقايَسَةَ.

ـالمُحادَثَة: طَريقاً نَحو مابَعد الميتافيزيقا:

الخُروج مِنَ المِرآوية، بِوَصفِها نَسَقاً قَسرِياً لِلعَقلِ الإنْسانيِّ يَنبَني عَلى التَمَثُلِ وَالمطابَقَةِ، يَجعَلُنا أَمام خِيار بَديل هُوَ المحادَثَةُ الَّتي تَحلُّ مَحَلَ المجابَهَةِ وَالصِراعِ، أَو السَذاجَة المتَأَتيةِ مِنَ الوثوقِ المطلَق بِالماهيةِ الإنعكاسية عَنْ الواقِعِ، وَالأَفكارِ المتَمَثِلَةِ بِوَصفِها صُورَةً طِبقَ الأَصْلِ، وَيَقينيَة المعنى. «يَرى **رورتي** أَنَّ فَلسَفَة مابَعد الحَداثَة آنْفَتَحَتْ اليوم عَلى الحِوارِ وَالتَواصُلِ، بَعدَ ما أَخفَقَ العَقلُ الماهَويُّ أَو الحَقيقَةُ المتعالِيَةُ في بِناءِ عَلاقاتٍ بَشَريةٍ مَرِنَةٍ وَمَفتوحَةٍ»[٥١]. وَلِأَجلِ ذلكَ يَسعى **رورتي** إلى الوثوقِ بِبَدائِلِ: المحادَثَةِ وَاللانَسَقِ وَاللامُطلَقِ المعرِفي، وَاللاقَبلي، وَاللاتَمَثُلي، فَيَقول (وَنَتيجة لِما سَبَق): «إنَّ الفَلسَفَة الَّتي تُفيدُ نَسَق البَحثِ عَنْ أَشكالِ التَمَثُلِ المتَمَيزةِ، مِن بَينِ تِلكَ الأَشكالِ الَّتي تُؤَلِّف المِرآة، تَصبَح غَيرِ مَعقولَة... وَالَّتي تُحَدِّدُ أُسس بَقيَةِ المعرِفَة، وَالَّتي تَشرح أَيّاً مِن أَشكالِ التَمثيل، هُوَ مُعطى مَحِضٌ أَو تَصويريٌّ مَحِضٌ، وَالَّتي تُعَدُ صيَغاً قانُونيةً وَلَيسَ إكتِشافاً تَجريبياً حِسياً وَالَّتي تُفَصِّلُ المقولاتِ عَبرَ الأُطرِ المساعِدَةِ عَلى الكَشفِ. وَإذا آعتَبَرنا المعرِفَةَ مَسأَلَةَ مُحادَثَةٍ وَمُمارَسَةٍ إجتِماعيةٍ، وَلَيسَ مَسعى لِتَصويرِ الطَبيعَةِ كَما لَو في مِرآةٍ، فَلَنْ يَكوْنَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ مُمارَسَةً وَرائِيةً- مِيتافيزيقيةً»[٥٢].

كَما أَنَّ **رورتي** يَقِفُ بِالضِدِ مِن كُلِّ التَصوراتِ اللّاهُوْتِّيةِ الَّتي تَتَّصلُ بِالرُؤى الدِّيْنِيِّةِ مُبرِراً مَوقِفَهُ ذلِكَ بِفِكرَةِ المُحادَثَةِ. وَبِكَلِمَةٍ أُخْرَى، يَرى **رورتي** ضَرورَةَ خَصخَصَةَ الدِّينِ: تَحويله إلى مُجرَدِ شَأَنٍ خَاصٍّ لايُفتَحُ أَمَامَه المَجَالُ لِلدُخولِ لِلفَضاءاتِ العَامَّةِ وَ السِّياسِيَّةِ وَذلِكَ؛ لِأَنَّ طَبيْعَةَ الدِّينِ نَفْسِهِ لاتَقبَلُ مَنهَجيةَ المحادَثةِ وَالحِوارِ، لأَنَّه يَغلِقُ أَيَّ حِوارٍ قَبْلَ أَن يَبدَأ، فَهُوَ يُقَرِّرُ مايَجِبُ أَنْ يَكوْنَ، وَما هُوَ ضِد مَشيئةِ اللهِ أَو مَعَها. عَلاوَةً عَلى أَنَّ **رورتي** لايُعيرُ أَهَميةً لِلدِينِ عَلى المستَوى الشَخصِي فَهُوَ يَتَجَرَدُ مِن ثُنائيةِ الدِيني وَاللّادِيني.[٥٣] وَإحالَةُ الدِّيْني إلى الخُصُوصِيَّةِ، يَجعَلُ إنْسَانَ **رورتي** لامَوضُوعِياً، وَ لاكَوْنِيّاً أَو إبستِمُولُوْجِيّاً، كَما سَنَكشِفُ ذلكَ تِبَعاً، وَيَعمِدُ إلى تَنظِيمِ حَياتِهِ بِأَدواتٍ مابعدَ الميتافيزيقيةِ التي تَعتَمِدُ الِحوارَ وَالإتِفاقَ.

وَدَيمُومةُ المحادَثَةِ جُزءٌ مِن آعتِمادِهَا أَصلاً، بِنَظَرِ **رورتي**، لأَنَّها هَدَفٌ مَركَزيٌّ لِلفَلسَفَةِ، فَالنَظَر «إلى محادَثَةٍ جَاريةٍ، بِوَصفِها هَدَفَ الفَلسَفَةِ الكافي، وَإعتِبار الحِكمَةِ ماثِلَةً في القُدْرَةِ عَلى

---

(٥٠) زهير اليعكوبي، «تأويل براغماتي للفلسفة: الانزياح نحو فلسفة المرآوية (**رورتي**)»، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، العدد١٤٢-١٤٣، مركز الانماء القومي، بيروت، ٢٠٠٨، ص١١٥.

(٥١) محمد شوقي الزين، **تأويلات وتفكيكات: فصول من الفكر الغربي المعاصر**، ص١٦٧.

(٥٢) رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٤٨.

(٥٣) Rorty, Richard, **Philosophy and Social Hope**, Penguin Books, 1999, London, p.171.

ٱسْتِيفَاءِ المُحادَثَةِ، مَعْنَاهُ أَنْ نَعتَبِرَ البَشَرَ مُوَلِّدِين لِأَوْصَافٍ جَديدَةٍ وَلَيسَ أَن نَعتَبِرَهمْ كَائِناتٍ، يَأَملُ الإِنْسَانُ في أَنْ يَكُوْنَ قادِراً عَلى وَصْفِهَا وَصْفاً دَقِيْقاً»(٥٤).

وَلَيسَ لَدى **رورتي** أَيُّ مَفهُومٍ لِلحَقيقَةِ بِمعنَاه الماوَرائي وَالَّذِي مِنْ شَأنِهِ أَن يَسمَحَ لَه بِرَسمِ خَطٍ قَواعِدِيٍّ تَأسِيْسِيٍّ وَمَنهَجِيٍّ نَحوَ النِّهَايَةِ، فَكُلُّ مانَفْعَلُهُ بِالمحَادَثَةِ لَيسَ الغَرَضُ مِنهُ الوُصُوْلَ لِلحَقيقَةِ. وَبِالنَّظَرِ إِلى الأَشْيَاءِ مِن زَاوِيةٍ مَعْرِفِيَّةٍ -زاوِيَةٍ مُجديَةٍ فَقَط لِلبراغماتي- فَكُلُّ مانَفْعَلُهُ هُوَ إِعَادَةُ رَبطِ شَبَكَةِ المعتَقَدَاتِ بِصُورَةٍ أَفضَلَ؛ وَ أَكثَرَ. وَكَونِهِ براغْماتِيَّاً، يَنبَغي عَلى **رورتي** أَنْ لا يَمْلِكُ عَودَةً مَعَ لُغَةِ "النِّهائِيَّةِ" وَالمطلَقِ وَ التَّامِّ. فَتَستَمِرُ المحادَثَةُ لكِنْ مِما لاشَكَّ فِيهِ إِنَّه مِنَ الممكِنِ أَن تَنْشَأَ حَالَاتٌ تَكْشِفُ عَنْ الاخْتِلافَاتِ في الرّأي وَالَّتي تَكُونُ عَمِيْقَةً لِدَرَجَةٍ لا يُمكِنُ حَلُّها بِوضُوْحٍ. وَعَلى مايَبْدُو، فالمخرَجُ الَّذِي يَستَخْدِمُهُ **رورتي** يَتَجَلَّى في أَنَّهُ يَنْبَغِي أَن يُعامَلَ عَدَمُ الحَلِّ هَذَا بِمايَرتَبِطُ بِمَوارِدِنا الجَدَلِيَّةِ الحالِيَّةِ وَالَّتي هِيَ في تَغْيِيرٍ مُستَمِرٍ. وَإِذا كُنَّا لانَرَى وَسِيْلَةً لِحَلِّ النِّزاعِ فَيَتوَجَّبُ عَلَيْنا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ واحِدٍ آخَرَ وَهكذا. وَقَدْ نَجِدُ واحِدَاً، أَو لانَجِدُ، فَهذَا يَعتَمِدُ عَلى البَراعَةِ وَالحَظِّ. وَلكِنْ فِيمَا لَوْ كَانَ يُمكِنُ حَلُّ الخِلافِ (أَو تَجَاوزُهُ بِإِبْدَاعٍ) فَهُوَ مَسأَلَةٌ مُتَمَاسِكَةٌ جِدَّاً. وَ مُهِمَّةٌ تَهذِيبِيَّةٌ إِبْدَاعِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ.(٥٥)

لِذا فَمُشكِلَةُ العَالَم الواقِعِيِّ وَإِمْكانِيَّةُ تَمَثُّلِه، وَمِعْيَارُ التَّطَابُقِ القائِمِ عَلى أُسِّه، يُعَدُّ مَوْضُوْعَاً لاطَائِلَ مِن دِراسَتِه أَو أَمَل في الإِفادَةِ مِنهُ، فَيَجِبُ التَخَلِّي عَنْهُ وَطَرحُهُ جَانِبَاً. لِأَنَّ إِحْدَى المَشَاكِلِ التَّقْلِيْدِيَّةِ الَّتي وَرِثَهَا العَقْلُ الغَرْبِيُّ مِن حَقْلِ الإِبستِمُولوجْيَا؛ وَتَنَاسَى هُمُومَهُ، وَالهَمَّ الإِنْسَانِيِّ، كَكُل، وَلاسِيَّما في حَلِّ الأَزمَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالأَخْلاقِيَّةِ وَالسِّياسِيَّةِ، وَهذهِ النَتِيْجَةُ مُتَضَمِّنَةٌ في فِكرِ ديوي وَالَّتي أَتَاحَتْ **لِرورتي** ٱسْتِئنافَ الخِطَابِ في مَوْضُوعِ الاَنْعِطافِ بِمَسَارِ الجَدَلِ الفَلْسَفِيِّ نَحوَ المجتَمَعِ وَمُشكِلاتِهِ، وَالسّياسَةِ وَيُوتوبياهَا الواقِعِيةِ. يَقولُ دِيوي: «أَلا يَسمَحُ التَخَلُصُ مِن هذهِ المُشْكِلاتِ التَّقْلِيْدِيَّةِ لِلفَلسَفَةِ أَنْ تَتَفَرَغَ لِمَهَامٍّ أَكثَرَ فائِدَةٍ لِلمُجتَمَعِ؟ أَلا يعني ذلِكَ تَشْجِيْعُ الفَلسَفَةِ عَلَى مُواجَهَةِ المُشْكِلاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالأَخْلاقِيَّةِ الكُبْرَى الَّتي تُعَانِي مِنْهَا الإِنْسَانِيَّةُ؟ وَتَسْعَى لِلّتركيزِ عَلَى مَعرِفَةِ أَسْبابِ الشَرِّ وَ إِزالَتِها، وَ تَطْوِيْرِ فِكْرَةٍ واضِحَةٍ عَنْ المُمْكِناتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الأَفضَلَ. وَتَكوِيْنِ فِكْرَةٍ أَو مَثَلٍ أَعْلَى يُمكِنُ ٱسْتِخْدَامُهُ كَمَنهَجٍ لِفَهْمِ الأَمْراضِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَمُحَاوَلَةِ عِلاجِهَا، بَدَلَ التَعْبِيْرِ عَنْ عَالَمٍ آخَرَ أَو عَنْ هَدَفٍ مُسْتَحِيْلِ التَّحَقُّقِ»(٥٦).

- التَهذِيب، وَالأَمل بَدل المَعرِفَة:

يَغُوصُ **رورتي** في جَوَّانِيَّاتِ الفَهْمِ التَمَثُّلِيِّ: الَّذِي حَصَرَ الفَلْسَفَةَ بِمَهَمَّةٍ إِبْستِمُولوْجِيَّةٍ، فَيُحَاوِلُ أَنْ يُفَكِكَ العِلاقَةَ بَيْنَ الكَلِماتِ وَالعَالَمِ وَكَذلِكَ عِلاقَةُ الإِنْسَانِ بِفِكرِهِ (بِدراسَةٍ سَايكُولُوجِيَّةٍ). وَحَالَما نَرَى صُورَ التَمَثُّلِ، الَّتي نَحْنُ بِحَاجَتِها لِوَصْفِ العَالَمِ وَالَّتي تُؤَدِّي بِالنَتِيجَةِ إِلى نَظَرِيّاتٍ في المَعْنَى مُتَعَلِقَةٍ بِاللُّغَةِ الَّتي نُعبِّرُ بِها، نَجِدُها كُلَّهَا لاصِلَةَ لَها بِالقُدرَةِ عَلَى التَّسويغِ بِقَدَرِ عِلاقَتِها بِبَرْدايم (نَموذَج) الثَّقَافَةِ السَّائِدَةِ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ التَّحَوُّلَ الَّذِي حَصَلَ بِاتِّجاهِ هَيْمَنَةِ الإِبْستِمُولُوجْيَا عَلَى المَعْنَى بَدَلَ اللّاهُوتِ، إِنَّما هُوَ بِسَبَبِ تَحَوُّلِ البِيْئَةِ الثَّقَافِيَّةِ مِنْ دِيْنِيَّةٍ إِلى عَلْمَانِيَّةٍ، وَاليَوْمَ يَبْدُو التَّخَلِّي عَنْ المِرآوِيَّةِ الإِبْستِمُولُوجِيَّة تَخَلِياً عَنْ الفَلْسَفَةِ النَّسَقِيَّةْ وَيَقتَضي أُنْمُوذَجُنَا الجَدِيْدُ أَنْ نُحَدِّدَ

---

(٥٤) رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٤٩٤.

(٥٥) (Edited), **Richard Rorty**, p.78-79. Charles Guignon And David R. Hiley

(٥٦)ديوي، جون، **إعادة البناء في الفلسفة**، ص١١٩-١٢٠.

خَرِيْطَةَ العِلْمِ وَالدِّيْنِ وَالشِّعْرِ وَالعَقْلِ بِحُدُودٍ مُلائَمَةٍ لِكُلٍّ مِنْهُم.[٥٧] وَتَتِمّة لِمَعَالِمِ المَشْرُوعِ الرورتوي يَلْزَمُ أَنْ نُوَضِّحَ أَنَّ التَّهْذِيْبَ هُوَ الكُنُّ الجَدِيْدُ لِلإِنْسانِ المُعَاصِرِ.

مِنْ أَجلِ مُدَاوَمَة التَّنظِيرِ وَالمسَارِ الذَرائِعِيَّ يَقْدِمُ **رورتي** عَلَى وَضْعِ لَبَنات لِفَلسَفَتِهِ في التَّهْذِيْبِيَّةِ وَالبراغماتيَّةِ الجَدِيدَةِ، هِي بِصُورَةٍ أُخْرَى كَلامٌ في المحادَثَةِ والحِوارِ، إِلَّا أَنَّها هُنا تَأَخُذُ دَورَ التَّكْوِينِ لِتِلكَ المُحَادَثَات، وَلايُمكِنُ فَهْمُهَا بِصُوْرَةٍ تَأسِيْسِيَّةٍ، لِسَبَبَيْن: **الأَوّل**، إِنَّهُ ضِد هَذهِ النَزعَةِ، **وَالثاني**، لأَنَّها بِفَحْوَاهَا لاتَأسِيسِيَّةٍ، وَلاتَعْمَلُ عَلى مَعْنَى النَّسَقِ وَالبِناءِ الحِرَفيّ، أَو التَمَثُلِيِّ أَو المِيتافِيزِيقيّ. وَإِنَّما مِنْ أَجْلِ مَشْرُوعٍ في الأَمَلِ وَالتَّضَامُنِ وَالدِّيمُقراطيَّةِ وَنَقدِ المِيتافِيزِيقَا، وَلِذلكَ فهُوَ يُدافِعُ عَنْ الفَرَضياتِ الآتيةِ:

أَولاً: الحَقيقَةُ لاصِلَةَ لَها بِالتَطابُقِ مَعَ الواقِعِ (اللاتَطابُقِيَّة):

يَتَخَلَّى **رورتي** عَنْ مَفهُومِ الحَقيقَةِ الَّذِي يَهْدِفُهُ البَحْثُ الفَلْسَفِيُّ، وَيَبْغِي وصُوْلَه في نِهايَةِ المَطافِ. أَو أَنَّها ماتُمَثِّلُ المطلَقَ أَو المقَاسَ إِليهِ وَالكافِي وَاليَقِيني. لِأَنَّها لَيْسَتْ نَتِيجَةُ مُطابَقَةٍ وَبَحثٍ وَإِنَّما اتِّفاقٌ وَقَبُولٌ. وَيَرى أَنَّهُ لَيْسَ هَدَفَ البَحْثِ العِلْمِيِّ، أَو البُحُوثِ الأُخْرَى، أَن تَطلُبَ الحَقِيْقَةَ المتَعَلِقَةَ بِالعَالَمِ الخارِجيِّ وَالمُطْلَقَة المعيار. وَإِنَّما المَطلَبُ هُوَ في الغَالِبِ الاسْتِعْدَادُ الأَفْضَلُ لِلمُحَادَثَةِ وَالمُحَاجَجَةِ وَالبَرهَنَةِ، وَبِذلكَ فَالمَطْلَبُ يَتَعَلَّقُ بِاسْتِعْدَاداتِنَا الفُضْلَى لأَنْ نُعَالِجَ مُشْكِلاتِنا وَشُكُوكَنَا الَّتي تُحيْط بتَصَوّرَاتِنَا وَسُلُوْكِنا وَمُحرِّكاتِهِ، وَبِذلِكَ فَإِنَّنَا نَسعَى إِلى تَسْوِيغٍ وَلَيسَ تَسبيباً لِأَفعَالِنا وَعَلاقَتِنَا بِالحَقِيْقَةِ وَالواقِعِ الخارِجيِّ كَذلِكَ. وَإِذا كُنَّا لانَسْتَطِيعُ تَحصيلَ تِلكَ الأَسْبابَ بِوَصْفٍ مِنْ أَوصافِ التَّفسِيرِ لِلحَقِيقَةِ وَعلائِقِها فَإِنَّهُ يَلزَمُ أَنْ نَفهَمَ الأَمرَ بِصورَةٍ مُغايرَةٍ تَتَعَلَّقُ بِتَسْوِيغِ المُعتَقَدِ بِالعَالَمِ وَما يُنْتِجُهُ مِمّا نُسَمِّيهِ بِالحَقائِقِ.[٥٨]

يَعْتَقِدُ **رورتي** أَنَّ فِكْرَةَ "الإِجَابَةِ عَلَى العَالَم" تَخْلُطُ بَيْنَ السَبَبِيَّةِ والتَّسْوِيْغِيَّة. بِطَرِيقَةٍ مَا، فَإِنَّ العَالَم يُشَارِكُ في تَنْظِيْمِ مُعتَقَداتِنَا. فَنَحْنُ مُتَدَرِبين عَلى المراقَبَةِ وَالمُمَارَساتِ التَّقريريَّةِ الَّتي تَتَطَلَّبُ الإِبْلاغَ عَنْ التَّصَرُفَاتِ الطَّارِئَةِ مِنْ قِبَلِ الظُّروفِ الخارِجيَّةِ. لكِنْ عَلَى الرُّغمِ مِنْ أَنَّ العَالَمَ يُؤدِّي دَوراً سَبَبياً في تَنظِيْمِ مُعتَقَداتِنا فَهُوَ لايُؤَدِّي دَوراً تَسْوِيْغِيّاً قَائِماً بِذاتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المواقِفَ الَّتي تُثيرُ التَّقارِيْرَ المُلاحَظَةَ لاتُطالِبُ بِأَنْ تَكونَ مَوصُوفَةً في أَيِّ مُفرَدَاتٍ خاصَّةٍ. كَما أَنَّها لاتُحَدِّدُ الأَهميَّةَ الاستِنتاجِيَّة أَو النَّظَرِيَّةَ للتَّقارِيرِ الَّتي تُثيرُهَا. قِياساً عَلَى ماسَبَقَ، مَاذَا يَعْني تَفَاعُلُنَا مَعَ العَالَم؟ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّنَا لانُسَيْطِرُ تَماماً عَلَى المُلاحَظاتِ الَّتي نَتَّخِذُهَا وَنَتيجَةً لِذلِكَ فَإِنَّ مُعتَقَدَاتِنَا هِيَ- دائِماً- عِرضَةٌ لِلتَّجارُبِ المتَمَرِدَةِ. لِذلكَ يَعتَقِدُ **رورتي** بِأَنَّ التَّقَدُمَ يُقَاسُ مُنْطَلِقاً مِنْ مَوَاقِفِنَا الَّتي تُشيْرُ إِلى حَلِّ المشكِلاتِ وَ إِزالَةِ الأَنْحِرافاتِ وَفَتْحِ خُطُوطِ التَّحْقِيقِ...الخ. وَلَيْسَ عَنْ طَرِيْقِ التَّحقُقِ مِنَ المَسَافَةِ بَينَ آرائِنا الحَالِيَّةِ وَنِهايَةِ التَّحقيقِ، وَلِذلكَ فَلَيسَ لَدَينا أَيُّ تَصَوّرٍ عَمَّا سَيَكُونُ عَلَيهِ التَّحقيقُ لِيَصِلَ إِلى حَدِّهِ النِّهائي، وَلافِكرَةَ عَنْ "الحَقيقَةِ" (كما في النظرية المثالية) لِكُلِّ شَيءٍ أَو نَوعِيّةِ الطَّرِيقَةِ الَّتي يُمكِنُ أَنْ نَضمِنَ ما يَجبُ أَنْ تُوصَفَ بِهِ الطَبِيْعَةُ.[٥٩]

وَلِذلكَ، يَنبَغي عَلَيْنَا أَنْ نَنْسَى الحِسَابَاتِ المِيتافِيزِيقيَّةَ لِطبيعَةِ الحَقيقَةِ وَنَنظُرَ إِلى كَيفيَّةِ إِجراءِ التَّحقِيقِ في الواقِعِ. وَالحَقيقَةُ لَدَى **رورتي** إِنَّما هِيَ إِتِّفَاقِيَّةٌ مُرتَبِطَةٌ بِزَمَكان مُعيَن؛ تَعتَمِدُ عَلى فِعْلِ الإِنْسَانِ وَخِبرتِهِ في الحَياةِ وَمايَتَجَلَّى عَنْ أَثَرِها مِنْ مَنفعَةٍ في حَياتِنَا، حَتَّى إِنَّهُ بِفِكرَتِهِ عَن

---

(٥٧) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٢٩٦.

(٥٨)جيرار ديلودال، **الفلسفة الامريكية**، ص٤٣٦.

(٥٩) Charles Guignon And David R. Hiley(Edited), **Richard Rorty**,p.68.

التَّضامُنِ سَيُبَيِنُ أَنَّهُ يَعْمَلُ داخِلَ حَيِّزِ جَماعَةٍ مُنتجةٍ لَها وَلَيسَ شَيئاً خَارِجَاً عَنْها. وَمِنْ مَعالِمِ تَصوّراتِ مَعنى الحَقِيْقَةِ بِمنْطِقِ براغماتيَّة **روتي**:(٦٠)

١- تَبَدُلُ مَفهُومُ الحَقيقَةِ مِن مَنطِقِ الكَشْفِ إلى مَنْطِقِ الصِّناعَةِ، فَهيَ تُصْنَعُ وَلادَاعي لِلْكَلامِ عَنْ مُحاوَلاتِ كَشْفِها .

٢- إنَّ هذهِ الحَقيقَة مُقَيَدَة بِزَمَنٍ مُعَينٍ وَيُمكِن أَن تَتَطَوَرَ وَذلكَ يَعني إمكانِيّةَ التَجْدِيْدِ وَالمراجَعَةِ وَبِذلكَ إمكانِيّةُ وَسَيطَرَةُ الإنْسَانِ عَلَيْهَا.

٣- سَيكون الإنْسَانُ مَسؤولاً عَلى أَفْعالِهِ وَعَواقِبِها، وَذلكَ بِناءً عَلى صِدْقِ وَحَقيقَةِ وَصِحَّةِ أَفعالِهِ وَسُلوكيّاتِه. وَذلكَ يَعني أَنَّ الإنْسَانَ يَحمِلُ تَمَيُزَاً وَفَرادَةً وَتَقدِيساً في كَونِهِ صانِع تِلكَ الحَقيقَةِ.

٤- إنَّ الشُعورَ بِالتَّثمِيْنِ وَالتَمركُزِ في صُنْعِ الحَقيقَةِ وَإمكانِيةِ الإنْسَانِ لِمُراجَعَتِها، يَجعَلُهُ قَادِرَاً عَلى المُساهَمَةِ في فِعلِ التاريخِ وَالمُشارَكةِ السِّياسِيَّةِ الفَعّالَةِ.

٥- إنَّ رِهانَ الحَقيقَةِ بِالنَتيجَةِ هُوَ مُحاوَلَة في إلحاقِها بِالمُستَقبَلِ، وَذلكَ يَقودُ إلى فَلسَفَةِ تَفاؤلٍ وَٱسْتِقْبالٍ نِسبَةً إلى ٱعتِمَادِها عَلى الآثارِ، وَمَدى نَفْعِها الَّذِي سَيعُودُ عَلى الإنْسَانِ.

يُخبِرُنا البراغماتيون، بِما فِيهم **رورتي**، بِأَنَّ المُغالَطَة الكَبيرَة لِلمُعتَقَداتِ هُوَ أَن نَعتَقِدَ أَنَّ مَجازاتِ الرُؤى، وَالتَطابُق، وَالخَرائِطَ الذِّهْنيّةِ، والتَصويرَ وَ التَمثيلَ، وَ الَّتي تُطَبَّقُ في تَأكيداتٍ بَسْيطَةٍ وَ نَمَطيَّة، يُمكِنُ تَطبِيقُهَا في مَجازاتٍ واسِعَةٍ مُختَلَفٍ فِيها. إنَّ هذا الخَطأَ البَسيطَ يَجعَلُنَا نَعتَقِدُ أَنَّهُ لا يوجَدُ أَملٌ في أَيِّ نَوعٍ مِنَ العَقلانيَّةِ، عِندَ عَدَمِ وجودِ أَشياءٍ مُتَطابِقَةٍ، وَعَدَمِ وجودِ تِلكَ الصَرامَة والدِّقَة والوثُوقيّة إلّا الذَوق وَ العاطِفَة وَالإرادَة. وَعِندَما يَقُومُ البراغماتيُّ بالهُجومِ عَلى فِكرَةِ "إنَّ الحَقيقَةَ هي دِقَّةُ التَمثِيْلِ" إنَّما يُهاجِمُ التَّقْسيْمَ التَقليديَّ بَينَ العَقْلِ وَ الرَّغْبَةِ، أَو العَقْلِ وَ الشَهوَةِ، أَو العَقْلِ وَ الإرادَةِ. فلَيسَ لِأَيٍّ مِنْ هذهِ التَقسيماتِ أَيُّ مَعنى إلّا إذا فَكَرْنَا أَنَّ التَعَقُّلَ أُنمُوذَجاً لِلرُؤيةِ، أَو كَما سَمَّاه ديوي "نَظَريةُ مَعرِفَةٍ بِالنِسبَةِ لِلمُلاحِظِ أَو المُتَفَرِّج".(٦١)

وَهذا التَّوجُّهُ **الرورتي** يَدينُ بِالفَضْلِ لِما قَدَّمَهُ جون ديوي في فِكرَتِهِ عَنْ الخِبرَةِ وَأَثرِهَا في صُنْعِ الحَقيقَةِ وَالٱتِّفاقِ بِشَأنِها وَقَبُولِها أَو الأَخذِ بِها كَبَرنامَجٍ لِحُلولِ مايُواجِهُنَا مِن مَشاكِلَ في الحَياةِ؛ فَهيَ أَداةٌ وَ وَسيلَةٌ لِلعَيْشِ الأَفضَلِ، وَبِذلكَ فَهيَ تَحمِلُ الٱستِقْبَالَ وَالأَمَلَ، يَقُولُ دِيوي: «الخِبرَة: نَتيجَةٌ، وَقَرينَةٌ، وَمُكافَأَةٌ أَو جَزاءٌ لِتَفاعُلِ الكائِنِ الحَيِّ مَعَ بِيئَتِهِ؛ وهُوَ التَّفاعُلُ الَّذِي إذا تَحَقَّقَ عَلى أَكمَلِ وَجهٍ، تَحَوَّلَ إلى مُشارَكَةٍ وَتَواصُلٍ»(٦٢). فَالتَّواصُلُ وَالتَّفاعُلُ يَخلِقانِ نَوْعَاً مِنَ الفَهْمِ المُشتَرَكِ، عِبْرَ تَلاقُحِ الخِبراتِ. وَذلكَ هُوَ المُنعَطَفُ البراغماتيُّ بِرُمَّتِهِ وَالَّذِي يُعطِي لِلإنْسانِ سُلطَتَهُ في مِعيارِيَّةِ الحَقيقَةِ عِبرَ مُشارَكاتٍ خِبراتيَّةٍ (ديوي) وَمُحادَثيَّةٍ (**رورتي**).

ثانياً: اللّاماهُوية / اللّاجَوهَرية:

بِناءً عَلى ماسَبَق، تُعطي اللّاماهُويَّةُ مَعنىً يُفيدُ بِنَفْيِ إمكانِيَةِ أَن يَكونَ الواقِعُ الخَارِجيُّ مَرجِعَاً لِلحَقيقَةِ، وَبِالضِدِّ مِن فِكرَةِ العَالَمِ المُتَكونِ مِن الماهِيَّاتِ (جَواهِر ثابِتَة لاتَتَغَير وَتَقبعُ خَلفَ الظَّواهِرِ)، يُقَدِّمُ **رورتي** تَصورَهُ بِأَنَّهُ نَقضَاً لِهذِهِ الرُؤيَةِ، وَ الَّتي طَالَمَا سَيطَرَتْ عَلَى العَقْلِ الإنْسَانيِّ، بِسَبَبِ ما أَنتَجَتْهُ الفَلسَفاتُ النَسَقيَّةُ وَالتَأسِيسِيّةُ، وَبِصُورَتِها الواقِعِيَّةِ أَكثَر مِن غَيرِها.

---

(٦٠) محمد جديدي، **مابعد الفلسفة: مطارحات رورتية**، ط١، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، بيروت والجزائر، ٢٠١٠، ص٦٠.

(٦١) **Pragmatism** (**Essays**: **1972–1980**), p.164. Richard Rorty, **Consequences Of**

(٦٢) ديوي، جون، **الفن خبرة**، ترجمة زكريا ابراهيم، مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٤١.

لِذلكَ، فَإنَّ تَصَوُّراتِنا عَنْ العَالَمِ تَمتازُ بِالإنفِتاحِ نَفْسِهِ الَّذِي يَلزَمُ أَنْ نَتَخِذَهُ مُقابِلَ (كُلّ) الآخَر؛ فَهِيَ تَصَوُّراتٌ مِنْ أَجلِ الفَهْمِ وَالاتِّفاقِ وَذلكَ يَدعُونَا إلى أَنْ نَخلَعَ كُلَّ جِلبابِ الجَوهَرِ وَالمادَةِ الَّتِي يُتَصوَّر أَنَّها مَوجودَةً في العَالَمِ الخارِجي وَعَلى ماهِيّتِنا كَشف ماهِيتِها وَتَمَثُّلِها كَمُطابَقَةٍ. وَذلكَ هُوَ نَفسُهُ المَوقِف النَاقِض لِيقينيَّةِ الواقِعِيَةِ وَتَمَثُّلِهم لِلواقِعِ عَلى أَنَّهُ صُورَةٌ لِلحَقيقَةِ بِمُطابِقَتِها لِلأَصلِ في الخارِجِ عَلى مِرآةِ عُقُولِنا؛ وَلِذلكَ يَقولُ **رورتي**: «إذا فَكَرْنَا بِأَنَّ المَعْرِفَةَ لَيسَتْ ٱمتِلاكَاً لِماهِيّةٍ، وَعَلى العُلَمَاءِ، أَو الفَلاسِفَةِ أَن يَصِفُوهَا، وَإنَّما كَحَقٍ في الٱعتِقادِ، بِوَساطَةِ المَعاييرِ الجارِيَةِ، فَإنَّنا نَكون عَلى الطَرِيقِ الصَحيحِ»[٦٣]. وَهذا الشَأن **الرورتي** في نَقضِ فِكرَةِ الماهِيَةِ وَإستِهجانِها إنَّما يَتَصِل بِإمتِعاضِ دِيوي مِنها، يَقولُ دِيوي: «لَو أَنَّنا أَنْعَمنا النَظَرَ الآن إلى لَفْظِ "الماهِيَة" لَوجَدْنَا أَنَّهُ لَفظٌ غامِضٌ مُلتَبِسٌ إلى أَعْلَى دَرَجَةٍ»[٦٤]. ثُمَ يُوسِع دِيوي شَرحَه لِمَعنى الماهِيّةِ[٦٥] فَيَصِلُ إلى فِكرَةِ كَونِها اللُّبَّ أَو الجَوهَريَّ، وَذلكَ -أَيضاً- لايَعني لَدَيهِ شَيئاً إلّا مَاهُوَ نِتَاجاً لِلّخِبرَةِ وَبِناءً عَلى ذلكَ فَمَعنَى أَو لُبُّ شَيءٍ ما، لَيسَ واحِدَاً بالنِسبةِ لِمَجموعاتٍ بَشَرِيَّةٍ مُختَلِفَةِ التَّخَصُص وَالبِيئَةِ وَالخِبرَةِ. وَهُوَ ما يُشيرُ إلى مانَتَفِقُ عَليهِ، وَلاوجودَ جَوهَري وَضَروري يَتَموقَعُ في الخارِجِ وَلَه دِلالَةٌ ثابِتَةٌ.

وَلِذلكَ يَرى **رورتي** أَنَّ مِن أَهَمِّ سِمَاتِ البراغماتيَّة أَنَّها ضِدَّ الجَوهَريّة فَعِندَ ٱستِخدامِها مَع أَفكارٍ مِثلَ "الحَقيقَة"، "العِلم"، "اللُّغَة"، "الأَخلاق"، وَ الأُمورِ المُماثِلة في التَنظيرِ الفَلسَفيِّ إنَّما تَناقُضُ أُولئكَ الَّذِين يُريدونَ أَنْ يَكونَ لِلحَقيقَةِ جَوهَراً وَتَصَوُّراً قائِماً عَلى تِلكَ الجَوهَريَّةِ (التَصوّر الماهوي) لِكُلِ المَعرِفَة، وَالعَقلانيَّةِ، وَالتَحْقِيقِ أَو العَلاقَةِ بَين الفِكرَةِ وَ مَوْضُوْعِهَا. عَلاوَةً عَلى ذَلِكَ، يُريدُ هؤلاءِ أَنْ يَكُوْنُوا قَادِرِينَ عَلى ٱستخدامِ مَعرِفَتِهِم بِهذهِ الجَواهِرِ مِن أَجلِ نَقْدِ الآراء الَّتِي يَعدُّونَها باطِلَةً، وَ مِن أَجْلِ الإشارَةِ إلى طَرِيقَةِ التَّقَدُّمِ نَحو ٱكتِشافِ حَقائِقَ أَكثَرَ. إلّا أَنَّ مانَقولُهُ: إنَّهُ لا يُوجَدُ جَواهِر في أَيِّ مَكانٍ.[٦٦]

فَالفَهْم المُطابَقاتيّ لِلواقِعِ يُؤدي إلى فِكرَةِ أَنَّ هُنالِكَ طَرِيقاً واحداً تَتَجَلَّى مِن خِلالِهِ حَقيقَة العَالَم بِما هُوَ كَذلكَ، كَماهِيةٍ نِهائِيةٍ وَصادِقَةٍ؛ وَلِذلكَ، يُناقِضُها **رورتي** لِأَنَّهُ -وَبِناءً عَلى أَهدافِهِ في نَقْدِ التَأسِيسِ وَالماهَوِيَّاتِ وَمَعَنْاهَا وَالمطلَقياتِ وَمِعْيارِها- يَجِدُ مِنَ الأَفضَلِ أَن يَكونَ ذَلكَ رَأَيٌ ضِمنَ مَجمَوعَةِ آراءٍ تَنفَتِحُ لِترى أَنَّ هُنالكَ مَن لايَجِدُ في التَطابُقِ مِعياراً وَلَديهِ رُؤية مُغايرة وَهُوَ يَحمِلُ مَعنىً وَصِدقاً أيضاً؛ وَبِالنِسبَةِ لِلواقِعِيَةِ الَّتي تَحكي أَحقيَّتُها بِٱمتِلاكِ الحَقيقَةِ قِياساً لِلواقِعِ وَتَطابُقِهَا مَعَه فَعليها أَنْ تُسَمَّى مُطابَقيّةً بِالتَّخْصِيْصِ، لِأَنَّها لايُمْكِنُ أَن تَختَزِلَ كُلَّ المعنى المُقالِ بِحقِ الواقِعِ.

ثالثاً: أخلاقٌ بِلا ٱلتِزاماتٍ عَامَة (بِلاكَونية):

فَقَد رَأَى **رورتي** أَنَّ شُعورَ الفَردِ بِذاتِهِ إنَّما هُوَ خَلقٌ داخِلِيٌّ حُرٌ بِالمَرتَبَةِ الأُولى. وَذلكَ يُشيرُ إلى مَدَى الفَرديَّةِ لَدى **رورتي**. وَبَدَلاً مِن أَن يَعمَلَ بِالمُنجَزِ الكانْطي بِفِكرَةِ الواجِبِ الأَخلاقيِّ عَلى أَساسٍ ترانسنتندالي، وَلأَجلِ ذلكَ سَعى نَحوَ العَمَلِ عَلى فِكرَةِ "التَضامُنِ" الَّتي تَقومُ عَلى أَفعالِنا إزاء مايواجِهُنا مِن مُعَانَاةٍ في المُجتَمَعِ وَيَتَحَتَمُ بِذلكَ أَن نَعمَلَ عَلى حَلِّهَا وَتَجاوزُهَا. وَلِذلكَ كُلِّه

([٦٣]) رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٥٠٧-٥٠٨.

([٦٤]) ديوي، جون، **الفن خبرة**، ص٤٩٣.

([٦٥]) المصدر نفسه.

([٦٦]) Richard Rorty, **Consequences Of Pragmatism** (**Essays**: **1972–1980**), p.162.

عَمِلَ عَلى الكَشفِ عَنْ أَبعادٍ شَخصيَّةٍ وَ وَطَنيَّةٍ لِمَعنى الأَخلاقِ وَتَجريدِهَا عَنْ كَونياتِها.[٦٧] وَذلكَ بِالتَأكيدِ سَيُخرِجُها مِن تَصورُاتِهَا المُتَعَلِقَةِ بِالمُثُلِ أَو الواجبِ الكَوْنيِّ، فَبِالنِّسْبَةِ **لرورتي** لاتَرتَبِطُ المَعَايِيْرُ الأَخْلاقيَّةُ بِالعَالَمِ المُتَعالي أَو الثَّابِتِ أَو المُفارِقِ مَع مُثلِ أَفْلاطُون أَو الأَوامِرِ الكانْطيَّةِ، كَما أَشَرنا، وَإِنَّما هيَ ضروبٌ وَأَنْمَاطٌ مِنْ الخِبْراتِ وَالتَّجارُبِ الاَجْتِماعِيَّةِ الَّتي يَعيشُها الإِنْسَانُ وَكَيفيَّةُ تَحولُها لِعاداتٍ يَألفُهَا النَّاسُ وَيَقبَلونَهَا، لكِنَّها تَبْقَى حامِلاً لِطَبِيعَةِ التَغيُّرِ الَّذِي هُوَ نِتاجٌ لِرَغَباتِ البَشَرِ وَاَعتقاداتِهِم، وَتَعودُ لِتَتَحَكمَ بِالسُلوكِ الإِنْسَانيِّ؛ وَلِذلكَ فَلا مَعَايِيْرَ أَو مَساطِرَ تُحَدِدُ مَساراتِنا نَحوَ الحَقيقَةِ أَو أَيِّ فِعْلٍ أَو سُلُوْكٍ.[٦٨]

مِن الخُطوَاتِ الثَّلاثِ السّابِقَةِ يَلزَمُ أَن يَتَحَقَقَ الخُروجُ مِن أُطرِ الإِبْستِمُولوجيَا الَّتي حَدَّدَتْ طُرُقَ مَعرِفَتِنَا لِلعالَمِ الخارجيِّ وَذواتِنا وَعَلاقَتِنا مَعَ الآخَرِيْنَ. وَما ذَلكَ الخُروجُ إِلّا لُجُوْءٌ مِنْ طَرفٍ لآخَرَ: إِلى التَّأويلِ بِوَصفِهِ حَيِّزَاً أَكثَرُ رَحابَةً وَفَضاءً، وأَكثَرُ قَبولاً لِلتَعَدُدِ وَالتَغايُرِ وَاللّاصِرامَةِ وَالضِدِيَّةِ لِلتَشيُؤِ، وَهُنا يَلزَمُ أَن نُبينَ جَذرَ الإِفادَةِ مِن فِكرَةِ التَّكوينِ/ التَهْذِيْبِ وَالَّتي أَشَرْنَا لَها، بِسُرعَةٍ، في ماسَبَقَ مِن البَحْثِ.

يَفيدُ **رورتي** مِنْ غادامير في فِكْرَةِ Bildung وَالَّتي تُتَرجَمُ إِلى تَهْذِيْبٍ -وهُوَ ماسَنَعتَمِدُهُ- وَتَكوينٍ وَتَنشِئَةٍ وَتَربيَةٍ وَتَعليمٍ ذاتيٍّ، تِلكَ الإِفادَة هيَ الَّتي اَنعكَسَتْ لَدَيهِ في جَعْلِها هَدَفَاً لِلتَفكيرِ الإِنْسَانيِّ، فَلَمْ يَعُدْ الإِنْسَانُ مُفكِرَاً لأَجلِ المَعْرِفَةِ بَل لأَجلِ التَّهْذِيْبِ. وَأَصبَحَتْ ذَواتُنا تَنصَقِلُ وَتُنَمي كُلَّمَا زادَتْ قِراءاتُنا وَكِتَابَاتُنَا وَحَدِيثُنَا عَنْ أَنْفسِنَا وَمِنْ أَجلِهَا، وَبِذلِكَ فَهذهِ النَّشاطَاتُ تَكْشِفُ أَهميَّتَهَا لِلإِنْسَانِ بَلْ وَتَفَوّقَهَا (حَسْبَ العَقْلِ الغَربيِّ وَخواصِّهِ) عَلَى الأَفْكَارِ الَّتي تَنشَغِلُ بِالحَديثِ عَنْ المأكلِ أَو المَشرَبِ أَو الكَسْبِ المالِيِّ فَقَطْ؛ بِذلِكَ فَهذهِ الأَفْكَارُ تُعيْدُ تَكْوِيْنَ الإِنْسَانِ، وَذلكَ كانَ حَاضِرَاً لَدَى غادامير في لامُبالاتِهِ بِما حَصَلَ في التَّارِيْخِ أَو مايُمكِنُ تَحصُّلُه مِن الطَبَيعةِ الخارِجيَّةِ، وَتَأكيدُهُ عَلى مايُمكِنُ أَنْ يَنفَعَنا لاَسْتِعمالِنَا الخَاصِّ وَمايُمكِنُ أَنْ نَحْصَلَ عَلَيْهِ لِذلكَ الاَسْتِعمَالِ مِنهُمَا، فَكلُّ المعْلومَاتِ الَّتي نَحصَلُ عَلَيْهَا أَو نَسْعَى لِكَسْبِهَا إِنَّما هيَ في نِهايةِ المَطَافِ أَدواتٌ لإِيْجَادِ طَرِيقَةٍ جَديدَةٍ وَأَكثَرَ فائِدَةً لِحياتِنَا وَالتَّعبيْرِ عَنْ ذَواتِنَا.[٦٩]

وَيُوظِفُ **رورتي** مَفْهُومَ التَّهْذِيْبِ لِلّدَلالَةِ عَلى مَعنَى إِيجادِ الطُّرقِ الجَديدَةِ، وَالأَفضلِ، والأَكثَرِ إِثارَةً، لِلكَلامِ. ذَلكَ المَعْنَى الَّذِي يَحتاجُ إِلى فَضاءٍ لِرعايَتِهِ وَأَدواتٍ لِلعَمَلِ عَليه، فَتَبَيَّنَ أَنَّ ذلكَ هُوَ بَديلُ الهرمينوطِيقا لَدى **رورتي؛** «فَالمَسْعَى إِلى تَهْذيبِ أَنْفُسِنا أَو آخَرينَ قَدْ يَتَمَثَّلُ في النَّشاطِ الهرمينوطِيقي الرَّامِي إِلى صُنعِ رَوابطَ بَينَ ثَقافاتِنا الخَاصَّةِ وَثَقافَةٍ غَريبةٍ ما، أَو حِقبَةٍ تَاريخيَّةٍ، أَو بَينَ نَسقِنَا الخاصِّ وَنَسقٍ آخَرَ يَبْدُو أَنَّهُ يَسْعَى وَراءَ أَهدافٍ لامُتقايسَةٍ بِمُفرَداتٍ لامُتقايسةٍ... وَيُفتَرَضُ في الخِطابِ الكَلامِيِّ التَهذيبيِّ أَن يَكونَ غَيرُ عاديٍّ، وَأَن يُخْرِجَنَا مِن نُفُوسِنَا القَديمَةِ بِقَوَةِ الغَرابَةِ، وَيُساعِدُنا لِنَكونَ كائِناتٍ جَديدَةً»[٧٠].

وَيَسْتَعِيْنُ **رورتي** بتوماس كون في فِكْرَتِهِ عَنْ النَّمُوْذَجِ وَالكَلامِ العَاديِّ أَو السَّائِدِ وَ دَوْرِ العَرَضِيِّ أَو الثَّوْرَةِ أَو غَيْرِ العَاديِّ في تَغْيِيْرِ النَّسَقِيَّةِ نَحْو ضَرْبٍ مُغَايِرٍ يَعمَلُ عَلَى قَطيعَةٍ مَعرِفيَّةٍ مَعَ السَّابِقِ التَّارِيْخِيِّ- الابستيمي. وَمِنْ ذلِكَ يُحاولُ المُقَارَنَةَ بَيْنَ الكَلَامِ العَاديِّ وَ غَيْرِ العَاديِّ لِيَنْطَلِقَ فِيمَا بَعْدُ واضِعَاً حُدُوْدَاً بَيْنَ الابْستِمُولوجْيَا (المُنْتَقَدَةُ مِنْ طَرَفِهِ) وَ الهرمينوطيقا (المُعول عَليهَا).

---

(٦٧) ثائر ديب، «ريتشارد رورتي نموذجاً: عَنْ النقد ما بعد الحداثي لفكرة الكونية»، **جريدة الاسبوع الادبي**، العدد ٨٧٧، تاريخ 4/10/2003.

(٦٨) محمد جديدي، **الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٦٩) يُنظَر: رورتي، ريتشارد، **الفلسفة ومرآة الطبيعة**، ص٤٧١-٤٧٢.

(٧٠) يُنظَر: المصدر نفسه، ص٤٧٣.

يَجُرُّنَا الكَلامُ العَاديُّ إلى تَمْييزِهِ: بِوَصفِهِ الكَلامَ المُتعارَفَ عَليهِ وَالمُتَّفَقَ عَليهِ اصطِلاحِيَّاً وَتَواضُعيَّاً؛ وَلِذلِكَ فَهُوَ يُمَثِّلُ مَنظومَةً عُرْفيَّةً وَمَعرِفيَّةً مُتَّفَقاً عَليها، وَلَها سُلطَةُ الإجابَةِ عَلى التَساؤلاتِ ذاتِ العِلاقَةِ بِالمَنظُومَةِ تِلكَ، وَ تَنظيمِ الحُجَجِ لِما يَنقُدُ أو يؤيّدُ الإجاباتِ الَّتي تُريدُ أَنْ تَخضعَهَا لِلتَميزِ داخل حَقلِ اهتِمامِهَا. بَيْنَمَا الكَلامُ غَيرُ العَادِيِّ (وَ الَّذِي يَستَنِدُ لَهُ **رورتي**) فَهُوَ مايَتعَلَّقُ بِالمُشَارَكاتِ الَّتي يَدخُلهَا الإنْسَانُ وَهُوَ غَيْرُ عَارِفٍ أو مُلتَزِمٍ بِالأَحْكامِ وَالمَعجَمِ المَعرفِيِّ لِلكلامِ العاديِّ وَانُموذَجِهِ، وَيزيحُهَا وَلايَعمَلُ بِها وَيَبدأُ بِدايَةً بِصُورَةِ لَغْوٍ أو كَلامٍ لامَعْنَى لَهُ لِيَتحَوَّلَ فِيما بَعْدُ إلى ثَورَةٍ فِكْرِيَّةٍ، تُغَيِّرُ الانُموذَجَ الرَّسمِيَّ أو السَّائِدَ[٧١]. وَالهِرمينوطِيقا هيَ المُنعَطَفُ الَّذِي سَيأَخُذُ بِمَهَمَّةِ حَملِ مَعنَى الكَلامِ غَيْرِ العَادِيِّ بِالضِدِّ مِنْ الإبستِمُولوجيا، فَيُحَدَّدُ مَسَارَ **رورتي** بِأَنَّهُ تَحَوُّلٌ مِن الإبستِمولوجيا إلى الهِرمينوطِيقا.

المحور الرابع:

الهرمينوطيقا وَالبراغماتيَّة.

-الهِرمينوطيقا بِوَصفِهَا مَشروعَاً خَلاصِيَّاً.

تَماشياً مَعَ مَشروعِ **رورتي** النَّقضيِّ وَالنَقْدِيِّ لِماهُوَ سَائِدٌ، فَهُوَ لايُقيمُ وَزنَاً لِلْفَهمِ الَّذِي يَفصِلُ الإبستِمولوجيا عَنْ الهِريمنوطِيقا عَلى أَسَاسِ: أَنَّ الأُولَى هِيَ مَن تَمتَلِكُ سُلطَةَ العَقْلانيَّةِ وَما يَدخُلُ تَحتَ لِوائِها، وَالثَّانِيةَ الَّتي تَتَضَمَّنُ البَحْثَ خَارِجَ إطارِ ما هُوَ عَقْلانيّ.[٧٢]

بِناءً عَلَى ماسَبَقَ، فَالتَّمييزُ لايَقومُ عَلَى امتِلاكِ سُلطَةِ العَقلَنَةِ وَالصَّرامَةِ مِنْ دُونِهَا، وَلَا عَلَى أَسَاسِ التَّفريقِ بَينَ عُلومِ الطَبيعَةِ وَالعلومِ الإنْسَانيَّةِ؛ أَو بَينَ مايُشيرُ لِلواقعيّةِ أَو مايُشيرُ لِلْقِيَمِ؛ وَلابَينَ ما يَمتَلِكُ مَوضُوْعِيَّةً وَبَينَ مَا هُوَ يُعانِي مِن الإلتِباسِ وَالضَّعْفِ أَو المرونَةِ، وَ إنَّما الفَرقُ الأَسَاسُ يَقومُ لَدَيْهِ بَينَ ما هُوَ مَألوفٌ وَما هُوَ لَيسَ مَألوفاً. وَلأَجلِ ذلِكَ يُمكنُ حَصْرَ الفُروقِ بِالجَدوَلِ الآتي[٧٣]:

الإبستِمولوجيا	**الهِرمينوطِيقا**
تَهْدِفُ إلى فَهْمِ ما يَحدُثُ في العَالَمِ وَ وَصفِهِ وَتَصنِيفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَوسِعَ ذلكَ الفَهمَ، أَو تَعزيزِه، أَو تَعليمِه، أَو التَأَسيسِ لَهُ وَعَليهِ.	يَجِبُ أن نُوؤِّلَ حِينَما لانَفَهَم ما يَجرِي وَبِذلكَ نَحنُ صادِقون في قَبولِ ذلكَ الفَهمِ.
إنَّها تَعمَلُ بِمَنطِقِ المُجابَهةِ وَالمقايَسَةِ وَالواحِديّةِ وَالشُموليّةِ.	إنَّها تُعطي مَعنى لِلأَمَلِ بِفضاءٍ ثَقافيٍّ تَعدُدِيٍّ.
تَقولُ بِوجودِ إطارٍ ثابِتٍ وَحِياديٍّ وَبِذلكَ هُوَ مَرجِعٌ لِلمُقايَسَةِ.	لا ثَبات أو إطارٍ قَسريٍّ، بَل سَيلانٌ لِلْمَعنى الَّذِي يَقِفُ بُرهَةً مَع كُلِّ اتِفاقٍ.

([٧١])يُنظَر: المصدر نفسه، ص٤٢٥.

([٧٢])يُنظَر: المصدر نفسه، ص٤٢٤.

([٧٣])يُنظَر: المصدر نفسه ، ص٤٢٦ وص٤٥٨. مع فروقات وضعها الباحث.

مَوضُوعُهَا مُتَعَلِّقٌ بِطَبِيعَةِ المَعرِفَةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَكَشفِهَا وَذلِكَ لايُتِيحُ مَجالاً لِلتَّأْوِيلِ لأَنَّنا مُلتَزِمُونَ بِبَرامِجَ بَحثِيَّةٍ وَمُمارَساتٍ كَلامِيَّةٍ عادِيَّةٍ أَو سَائِدَةٍ أَو خاضِعَةٍ لِمَنظومَةِ الأُنموذَجِ المُهَيمِنِ.	إِنَّ الهِرمينوطِيقا تَؤدي دَورَ الإِصلاحِيّةِ لِأَنّها -دائِمَاً- ما تَستَأنِفُ البَحثَ بِطَرِيقَةِ الأَمَلِ بِالجَدِيدِ وَالثائِرِ، وَ ما يُعِيدُ تَحرُّرَ الإِنْسَانِ.
خِطابٌ عادِيٌّ، يَهتَمُ بِدِراسَةِ ما هُوَ مَألُوفٌ.	خِطابٌ غَيرُ عَادِيٍّ، يُعوِّلُ عَلى دِراسَةِ غَيْرِ المَألُوفِ.
تَرجَمَةٌ لِلْخِطابِ العادِيِّ بِأَنَّهُ ما يُمكِنُ أَن نَعمَلَ لَهُ مُصطَلَحاتٍ مُفَضَلَةٍ وَ تَنسيقِ لُغَةٍ خاصَّةٍ بِهِ.	عَدَمُ وجُودِ لُغَةِ عِلمٍ مُوَحَّدٍ. فَلا وجُودَ لِمَصْفُوفَةٍ مَوضُوعِيَّةٍ، وَحيادِيَّةٍ ثابِتَةٍ، يُمكِنُ أَن تُفَسِّرَ، وَتَشرَحَ، مانَعيشُهُ، أَو نُرِيدُ أَن نَفهَمَهُ.
تَقُومُ عَلى أُسُسِ الشَرحِ، وَالتَنَبُّؤِ، وَالطَرِيقَةِ المَعرِفِيَّةِ: المُمتازَةِ، وَالمُستَحسَنَةِ، وَالعَقْلانِيَّةِ، وَالصارِمَةِ.	إِنَّ كَلِمَةَ المَعْرِفَةِ لَدَيْهَا لا تَستَحِقُ القِتَالَ! فَالهِرمينوطِيقا هِيَ طَرِيقٌ جَدِيدَةٌ في المُلائَمَةِ، وَالوضوحِ الفَلسَفِيِّ؛ وَ لا تَسْعَى إِلى المَنَاهِجِ المَعْرِفِيَّةِ الأَحسَنِ وَ البَدِيلَةِ. بَل جُزء مِن تَعَدُدٍ مَقبولٍ.

وَنَتِيجَةً لِما سَبَق، يَقولُ **رورتي**: «عَلَيْنَا أَلّا نُحاوِلَ أَن يَكونَ [هنالك] مَوضوعٌ يَخْلِفُ الإِبستمولوجيا، بَل نُحاوِلُ تَحْرِيْرَ أَنفسَنَا مِنْ فِكرَةِ أَن تَكُونَ الفَلْسَفَةُ دائِرَةً حَولَ آكتِشَافِ إِطارٍ بَحثِيٍّ ثَابِتٍ. وَعَلَيْنَا، خَاصَّةً، أَنْ نُحَرِّرَ أَنفُسِنَا مِنْ فِكرَةِ: أَنَّ الفَلسَفَةَ تَستَطِيْعُ أَنْ تَشْرَحَ ما تَركَهُ العِلمُ بِلا شَرحٍ»(٧٤).

وذلك ماجعله يراجع مشروعه في تبني نوع من المشروع التوجيهي في الهرمينوطيقا ليتنازل عنه؛ فأجاب في مقابلة اجريت معه على سؤال: هل لاتزال تظن ان الهرمينوطيقا يجب ان تحل محل الابستيمولوجيا = نظرية المعرفة؟ فقال:«لا، أظن انها كانت عبارة غير ملائمة. والفصل الاخير من كتابي "الفلسفة ومرآة الطبيعة" ليس جيدا جداً. وأظن أنه كان يجب فقط ان اقول: ينبغي ان نكون قادرين على التفكير في شيء نفعله أكثر من اهمية الاحتفاظ بصناعة الابستيمولوجيا»(٧٥)

لكِنْ، ذَلكَ لايَدْفَعُنَا بِإِتِّجاهِ تَصَوُّرِ نِهَايَةِ الفَلْسَفَةِ كَمَا آتُّهِمَ بذلكَ **رورتي** مِنْ قَبْلُ؛ بَل إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُوْلَ إِنَّ الفَلسَفَةَ بِهذا المَعْنَى قَدْ آنتَهَتْ: بِمَعنى شمُولِيَّتِهَا، وَكَونِيَّتِها المِعْيَارِيَّةِ وَالنَسَقِيَّةِ، وَالمَرجِعِيَّةِ العُليا لِكلِ المَعارِفِ. كُلُّ ذلكَ الوَهْمِ يَجبُ أَن يُزالَ، حَسْبَ **رورتي**. وذلك ما المحنا له في باية دراستنا عن الفلسفة وفلسفة، او بين Philosophy و philosophy ؛ والالتباس الذي صوّرَ قول رورتي هذا بانه نِهايَةَ الفَلسَفَةِ هُنا تُشابِهُ فِكرةَ نِهايَةِ الدِينِ فَي عَصرِ التَّنْوِيْرِ؛ أَو الرَّسمِ التَشكِيلِيِّ بَعدَ مَجيءِ

---

(٧٤) المصدر نفسه، ص٤٩٦.

(٧٥) Joshua Knobe, »A talent for Bricolage: An Interview whith Richard Rorty«, **The Dualist**, 2, 1995, pp.71.

نقلا عن: صلاح اسماعيل، **البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي**، ص١٤٨.

الفَنِ الطَلَيعيِّ، لأنه سَيَظَلُ ، دوماً، هُنالكَ، شَيءٌ أسمُهُ "فَلسَفَة" بِالرُّغمِ مِن مُحاوَلَةِ الهَدمِ **الرورتية** لِكلِّ الأنْسَاقِ الفَلْسَفيةِ عِبْرَ التَّاريخِ، مِنْ أفلاطُون إلى يَومِنا هذا،(٧٦) لأَنَّ الفَلسَفَةَ التَّهْذِيْبِيَّةَ لاتَهدِفُ إلى وَضعِ نِهايَةٍ لِلفَلسَفَةِ بِقَدَرِ ما تُريدُ مَنْعَ الفَلسَفَةَ مِنْ تَحْصِيْلِ أَو العَمَلِ بِإتِّجاهِ الطَّرِيقِ الآمِنِ وَالمأمُونِ لِلّعِلْمِ.(٧٧) الَّذِي يَحمِلُ مَعَهُ الدِّقَةَ وَالسُلطَةَ العُلْيَا وَالحَقيقَةَ المُطْلَقَةَ.

-البراغماتيَّة: ضِداً لِلّموْضُوْعيَّةِ، وَالحِلْفِ الإبستِمولوجي.

وَ لا يَقِفُ إهتِمام **رورتي** بِالسَّائِدِ وَضِدِّهِ، أَو العَادِيِّ وَ نَقيضِهِ، أَو الإبستِمولوجيا وَالهِرمينوطِيقا؛ بَل يَصِلُ حَدُّ البَحْثِ في فَوارِقِ المَوْضُوْعِيِّ وَالتَّضامُنِيِّ؛ بَينَ رَمْزِ الضِدِّ في فِكرِ **رورتي** وَ هُم الواقِعيُّونَ وَ بَينَ الجيْلِ الفَلسَفيِّ الَّذِي يَنتَمي لَهُ مِن البراغماتيين. وَ يُحَدِّدُ بَيْنَهُما وَ لَهُما طَرِيقَتَانِ، نَستَطيعُ مِن خِلالِهِمَا كَشْفَ حُدودِ تَفكيرِ كُلٍّ مِنهُمَا أَو عَلَى الأقلِّ مَعالِمِ ذلِكَ التَفكيرِ(٧٨):

الأولى: في الكَلامِ عَنْ ما يُقَدِمُوهُ بِوَصْفِهِم جَماعَةً فِعْلِيَّة تُشْتَرطُ بِمُقَوِّماتٍ تاريخيّةٍ وَ واقِعٍ مُعاشٍ أَو لُغَةٍ أَو رَمزيَّةٍ أَو جَذرٍ زَمكاني مُغاير، لَكنه يَرتَبِطُ بِهَمٍّ ثَقافيٍّ وَ اجْتِماعيٍّ. وَ هذهِ الحالَةُ الَّتي تَسْتَنِدُ إلى **التَضَامُنِ** وَ تَسْتَهدِفُهُ. فَهِيَ التي تَعْمَلُ مِنْ أَجلِ الجَماعَةِ البَشَريَّة الهُوياتيَّة المُحَدَدَةِ المَعالِمِ وَالانْتِمَاءِ.

الثانية: تَتَمَثَّلُ في نَظرَةِ البَشَرِ إلى أَنْفُسِهِم عَلى أَنَّهُم يَمتَلِكُونَ عَلاقَةً مُباشِرَةً مَعَ ما يَمتَلِكُ حَقيْقَةً لَيسَتْ إنْسَانيَّةً وَلا تَمُتُّ بِصِلَةٍ لِواقِعِهِم التَّاريخيّ أَو المَذْهَبيّ أَو الجَمَاعاتيّ الخَاص. وَ يَتساءَلُ **رورتي** وَ يَهتَمُّ بِالمُمارَسَاتِ المُوجَهَةِ إلى ما هُوَ خَارِجُ نِطاقِ الإنْسَانيَّةِ في الجَماعَةِ المتَعيِّنَةِ وَالمُنحَصِرَةِ، وَلا يَنظُرُ لِنَفسِهِ بوَصفِهِ مَحكوماً بِأُطرِ الجَمَاعَةِ المُنتَمي لَها وَ إنَّما يَرتَبِط بِما هُوَ مَوصوفٌ دُونَ الرُجوعِ إلى مُجتَمعٍ يَنْضَوي تَحتَه. وَهذه هِيَ **المَوضوعِيَّةُ**.

وَيَرى **رورتي** أَنَّ العَقْلَ الغَربيَّ هُوَ وَريث لِلّصنفِ الثاني، الَّذِي يُريدُ العَملَ بِمعايير وَتَقاليدِ المَوضوعِيَّةِ. وَالخاضِعِ لِلْفَرَضيةِ القائِلَةِ:إنَّنا يَجِبُ أَن نَقِفَ عَلى مَسافَةٍ واحِدَةٍ وَ كافِيَةٍ مِن الأَفْكَارِ وَالأَشْيَاءِ بِشكلٍ يُمَكِّنُنَا مِنْ أَنْ نَتَفَحَصَها مِنْ أَجْلِ جَذبِها نَحْوَ الطَّبيعيِّ بَدَلَ الاجْتِمَاعيِّ- الإنْسَانيِّ. وَ أُولئِكَ الَّذِين يُرِيدُونَ أَنْ يُقيمُوا التَّضَامُنَ عَلى أُسُسٍ مَوضُوعِيَّة وَهُمْ مَنْ يَصفُهُمْ **رورتي بِالواقِعيين** وَالَّذِينَ، كَمَا أَسْلَفْنَا، يَفهَمُونَ الحَقيقَةَ بِوصفِهَا تَطَابُقَاً يَخضَعُ لِتَمَثُلٍ وَ مِرآويَّةٍ. وَ بِذلِكَ فَعَلى التَضامُنِ أَن يَخضَعَ لِآلياتِ الشَطرِ بَينَ ماهُوَ عَقلانيّ وَ ما هُوَ لَيسَ كَذلكَ: الَّذِي تَفتَرِضُهُ الافهامُ الَّتي مَيَّزَتْ بَينَ عَالَمِ الروحِ وَالطَّبيعَةِ. وَالَّذِي يَعني الاعتِمادَ عَلى الإبستِمولوجيا وَاختِزالِهَا لِمَهَمَّةِ الفَلسَفَةِ بِالضِدِّ مِن الهِرمينوطِيقا وَإعادَةَ مَكَانَةِ الإنْسَانِ، وَتَحريرِهُ مِنْ تِلكَ الاسْتِلابَاتِ الَّتي حَوَّلَتهُ إلى شَيءٍ يَجرى قِياسُه وَالعَمَلُ مَعَهُ عَلى أَنَّه الصَّامِتُ وَالثَّابِتُ.(٧٩) أَمَّا الاتجاهُ المُقابِلُ، وَالَّذِي حَاوَلَ عَكسَ المُعادَلَةِ وَ رَدَّ المَوضُوعِيَّةِ إلى التَضامُنِ، وَهُم **البراغماتيون**- الَّذِين وَبِحَسب مَنظُومَتِهِم الفَلسَفيَّةِ لا يَعْمَلُونَ وِفقَ قَواعِدَ إبستِمولوجيَّةٍ صَارِمَةٍ مِثلَ الواقعيينَ أَو مِيتافيزيقية كَما اللاهوتيين- فَالحَقيقَةُ لَنْ تَتَجَاوزَ مَعْنَى الدِّلالةِ عَلى ما هُوَ نَافِعٌ لَهُم. وَ لِذلكَ لا يَرونَ أَنَّ المَنهَجَ التَّطابُقيَّ المُستَعمَلَ في رَدمِ الفَجْوَةِ بَينَ الحَقيقَةِ وَ الواقِعِ هُوَ السَّبيلُ الصَّحيْحُ أَو المَقبُولُ، وَإنَّما بِالبَحْثِ عَنْ الأَفضَلِ وَالجَيدِ المَوجُودِ، وَ ما يُحتَمَلُ وجُودُهُ مِنْ الجَيِّدِ. فَقَدْ يَكُونُ ما هُوَ عَقْلانيٍ غَيرَ حَقْيقيٍّ في نَظَرِهِم. وَ أَنَّ الفَرَضيَّةَ الَّتي يُمكِنُ أَن تَتَحَكَّمَ بِنا -وِفْقَهُم- هيَ أَنَّ الإنْسَانَ -دائِمَاً- من

---

(٧٦) يُنظَر: المصدر نفسه، ص٥١٢.

(٧٧)يُنظَر: المصدر نفسه، ص٤٨٨.

(78) See: Rorty, Richard, **Objectivity Relativism and Truth**, **Philosophical Papers**, vol.1, Cambridge University press, 1991, p.21.

(79) See: Ibid, p.22.

يُمكنه أَنْ يأتيَ بِالجَديدِ مِنَ الفَرَضيَّاتِ أَو الأَدِلَّة أَو المُفرَداتِ أَو الاْعْتِقَاداتِ وَ الَّتي تُحَسِّنُ مِن حَياتِهِ؛ وَ لِذلكَ لا يَرغَبونَ بِالتَحَرُّرِ مِنَ الجَماعَةِ نَحْوَ مَشروعٍ مُتَمَاهٍ مَعَ ما يَحصُلُ في الطَّبيعَةِ وَ إِنَّما العَمَلُ بِإِتِّجاهِ الاْتِّفَاقَاتِ المُتَبادَلَةِ وَالإِعترافيَّةِ/ البَينَذاتيةِ.[٨٠]

لَكِنَّ البراغماتيَّةَ مَعَ نُسخَةِ **رورتي** وَ أَصْلَها التَّقْليْدِيِّ مَع بيرس، وَجيمس، وَديوي قَدْ اْتّهِمَتْ بِالنِسبيَّةِ. فَالتَّصورُ أَنَّنا دائِماً في مَرحَلةٍ مِن مراحِلِ التَحقيقِ، وَ أَنَّنا يُمكنُنا أَنْ نَعمَلَ فَقَط مَعَ مُعتقداتٍ وَ نَظريَّاتٍ وَ مَعاييرَ نَمتَلِكُها بِذَواتِنا، يَجعَلُ الأَمرَ وَكَأَنَّهُ مِثاليٌّ ذاتيٌّ وَ نِسبيٌّ وَ سُفْسطائيّ؛ إِلَّا أَنَّ **رورتي** يُريدُ -حَقّاً- أَن يُعَلِّمَ الدَرسَ الفَلسَفيَّ الجَدِيْدَ بِمَعْنَى تَقَبُّلِ الطَّوارىء وَ اللاْختِزال لأَفكارِنا بِقوالِبَ مُطلَقَةٍ. فَمِنَ المُحتَمَلِ أَن تَكونَ هُناكَ قَضَايا مُعَلَّقَةٌ وَفي أَيِّ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ وَمُحَدَدٍ تَحتاجُ مَوقِفاً وَرأياً، وَلَيسَ كُلُّ النّاسِ يُمكنُهُم أَن يَجِدُوا سَبَباً مُشتَرَكاً لأَنْ يُنتِجُوا قَولاً فِيها؛ أَو قَدْ تَكونُ تَخضعُهُم كُلُّهُم. لكنَّ ذَلِكَ لا يَعني أَنَّ بَعْضَ (أَو أَي) مُنازَعاتٍ تَعكُسُ الاْلتزامات الَّتي مِن حَيثُ المَبدَأ "غَير قابل لِلْقياس". وَ لا يُمكِنُنا التَنبُؤ بِمستَقبلِ التَّحقيْقِ، وَنَحنُ لا نَعرفُ مُطلَقاً كَيفِيَّة نُشُوءِ الوَضعِ التَنَبوئيِّ؛ لأَجْلِ ذَلِكَ يَعتَقِدُ **رورتي** أَنَّ المُؤَسِّسِينَ (التَأَسِيسيين) وَالمُصابِينَ بِخَيبَةِ أَمل سَيصفُونَهُ بِالنِسبيَّةِ أَو التَشَكُكِ أَو اللاعَقلانيَّةِ.[٨١]

وَيُمكِنُ الكَلامُ عَنْ مَنفَذِ خُرُوجٍ مِن تِلكَ النِسبيَّةِ المَزعومَةِ، (وَ إِن كانَ **رورتي** لايَنْفيْها إِلّا بِوَجهِها اللّاغِي لِمَا يُمكِنُ أَن تُنتِجَهُ طُروحاتُه في إِعادَةِ نِصابِ النَّقْدِ الثَّقافيِّ الَّذِي يُلزِمُ نَفسَهُ بِتَبَعيَّتِهِ كَوصفٍ لِمَهمَّةِ الفَلسَفَةِ فَتَنبَري لِلّتشخيصِ وَالمُراجَعَةِ وَالمُعالَجَةِ) وَذلكَ بِإِتاحَةِ حَيِّزٍ كَبيرٍ لِلذاتِ وَجَدَلِها مَعَ المُجتَمَعِ - الغَير (وَالذات) فَبَينَ التَّهْذِيْبِ أَو التَّكْوِيْنِ الذَّاتيِّ وَالتَّضامُنِ أَو الهَدَف وَالمُنتَج البَيْنَذاتي، صِلَةٌ يُحاوِلُ كَشْفَهَا **رورتي** وَبِتِلكَ المُحاوَلةِ يَسْعَى نَحْوَ طَرِيْقَةٍ في طَمْرِ فَجَواتِ الفِراقِ بَينَ الذَّاتيِّ وَالمَوضُوعِيِّ وَالخَاصِّ وَالعَامِّ. وَذلكَ مانَجِدُهُ مِن تَوليفَتِهِ بَينَ التَهَكُّمِ وَالتَّضَامُنِ بِوَصْفِ الأَوَّلِ مُنجَزاً لِلتَكوينِ الذاتي وَمُمثِلاً لِتلكَ التَنشِئَةِ الذَّاتيَّةِ، وَالثَّانِي بِوصْفِهِ تَراصّاً مَعَ الشَّرِيْكِ الاْجْتِمَاعِيِّ وَإِحساساً بِهِ. وَلِذلكَ «يُراهِنُ البراغماتيُّ عَلى جَدَلِ... التَوريَةِ [التَّهَكُّمِ] وَالتَّضامُنِ، لِأَنَّ كُلَّ مِهنَةٍ أَو بَحْثٍ أَو تَساؤلٍ أَو تَأَمُّلٍ هُوَ نِتاجِ اْشْتِغالٍ دَقيقٍ وَعَمِيْقٍ عَلى الذَّاتِ يَتَضَاعَفُ أَو يَتَفَاعَلُ بِالتَّضَامُنِ الجَمَاعِيِّ وَالتَّفَاهُمِ المُجتَمَعيِّ» .[٨٢]

التَهَكُميُّ هُوَ مَنْ يَعتَقِدُ أَنَّ فِكْرَهُ مَحَدَدٌ بِحُدُودِ لُغَتِهِ، وَتِلكَ اللُّغَةُ مَنخُورَةٌ بِالعَرَضِيَّةِ وَبِسبَبِ ذلكَ لَمْ تَعُدْ المَعرِفَةُ الميتافيزيقيةُ، عِنْدَه، هَدَفاً يَبتَغيهِ، وَ لا المطابَقَةُ لِلواقِعِ أَمَلاً يَسْعَى إِليهِ؛ وَلِذلِكَ فهُوَ يَبحَثُ عَنْ مَعْجَمٍ لُغَويٍّ جَديدٍ بَدَلَ البَحْثِ الإِبستِمُولوجيِّ، فَقَدْ يَكونُ قَدْ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ السَيئَةَ[٨٣]؛ وَلِذلكَ يَبدَأُ ثائِرَاً وَساخِرَاً وناقِضَاً لِكُلِّ قِيمِ الثُّبوتِ وَالرُّسُوخِ وَالمَرجِعيَّةِ اليَقِينيَّةِ الميتافِيْزِيْقيَّةِ. لَكِنَّ ذَلِكَ البُعْدَ التَهَكُميَّ يَأْخُذُ الإِنْسَانَ نَحْوَ ضَرْبٍ مِنَ الاْنعِزالِ لَولا بُرهانُ البراغماتي في عَدِّهِ «"المُفكِرَ في خِدمَةِ الجَماعَةِ"؛ فَفِكرُهُ سَوفَ يَظلُ شَيْئَاً تافِهاً، إِنْ هُوَ ظَلَّ بَعيداً عَنْ المُسَاهَمَةِ في إِعادَةِ تَرتِيبِ "نَسيجِ المُعتَقَداتِ الخَاصَةِ بِتلكَ الجَماعَةِ"... إِلّا أَنَّ إِعادَةَ التَّرتِيْبِ هذهِ لَيْسَتْ عَمَلاً نَسَقِيَّاً، وَلَيسَتْ بَرنامَجَاً بَحتَاً، بَل هُوَ حَكٌّ [كَشط] في المَكانِ المُناسبِ»[٨٤]، أَيْ مُحاوَلاتٌ تَشخِيصيَّةٌ وَعِلاجِيَّةٌ، تَسْعَى إِلى تَضامُنٍ وَطنيٍّ أَو مُجتَمَعيٍّ ثَقافيٍّ خَاصٍّ.

التَّضَامُنِيَّةُ **الرورتية** تَقُودُ إِلى اللّامَرجِعيَّةِ وَاللّامطلَقيَّةِ، كَما قُلنَا آنِفاً في أَثناء بَحثِنَا هذا، وَذلكَ يَعني بِكَلِمَةٍ أُخْرَى العَرَضيَّة، بِقَدَرِ ماهِيَ نِسبيَّةٌ. فَالفَلسَفَةُ التَّهذِيْبِيَّةُ سَتَعمَلُ عَلى ما هُوَ عَرَضيٌّ،

([80]) See: Ibid, pp.22-23.

([٨١]) Charles Guignon And David R. Hiley (Edited), **Richard Rorty**, p..96

([٨٢])محمد شوقي الزين، **تأويلات وتفكيكات: فصول من الفكر الغربي المعاصر**،ص١٧٠.

([٨٣]) زهير اليعكوبي،«تأويل براغماتي للفلسفة: الانزياح نحو فلسفة المرآوية (رورتي)»، ص١٢٢.

([٨٤]) زهير اليعكوبي، المرجع نفسه، ص١٢٥.

عَلى ما هُوَ لَيسَ عادِيَّاً وَثابِتاً، وَ بأَدواتٍ هِرمينوطِيقيةٍ في سَبِيْلِ الفَهْمِ وَ الأتِّفَاقِ الأكثَرِ تَسْويغَاً وَقَبُولاً في بِيئَةٍ آجتِماعيَّةٍ وَمتَزَمِنَةٍ.

وَلِذلكَ يَفتَرِضُ **رورتي** نِهايَةً لِمَطافِ إشكالياتِهِ وَآنتِقاداتِهِ، بَل وَحَتّى مَشروعَهُ في الهِرمينوطِيقا وَالبراغماتية الجَديدَةِ، عَلى هَيئَةِ ضَربٍ مِن الخَيالِ الشاعِريّ الَّذِي يَستَعيرُ الأمل مُمَثَّلاً بِرَمزيّةِ "غودو" فَيقولُ: «إنَّ آنتِظارَ غودو مُحتَرَمٌ بِالنِسبَةِ لَنا نَحنُ الفَلاسِفَة... إنَّ إنتِظارَ غودو هُوَ إنتِظارُ الخَيال البَشَريّ لِكَي يَشتَعِلُ مِن جَديدٍ، إنَّ آنتِظارَ ذلِكَ يَعني طَريقَةً في الكَلامِ لَم نُفَكِرْ بِها مِن قَبل... وَ أنَّهم [المُفكِرون] لا يَحتاجون الغودو الَّذِي يُفسِرُ لَهم أنَّ سُلطَتَهُ أو سُلطَتَهَا تَأتي مِنْ عَلاقَةٍ خاصَةٍ مَعَ شيءٍ غَيْرِ ـــ بَشَريٍّ»[٨٥]. فَالإنْسَانُ هُوَ المِعْيَارُ وَهُوَ أَسَاسُ سُلطَةِ الحَقيقَةِ وَالخَيالِ وَإمكانِيَّةِ التَّجدِيْدِ.

خَاتِمَة:

لَعَلَّ الكَلَامَ عَنْ **رورتي** في الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ لايُوفِيهِ حَقَّهُ، بِوَصفِهِ فَيلَسوفَاً مُتَشَعِبَاً وَ إنسكلُوبيديَّاً جَدِيدَاً، في اللُّغَةِ وَالأَخْلاقِ وَالسّياسَةِ وَالمَعرِفَة، إلّا أَنَّنا حَاوَلنا رَسَم مَلامِحِ خُلاصَةٍ وَعُصارَةٍ لِمُجمَلِ أَفْكَارِهِ النَّقدِيَّةِ وَما بَعْدَ الحَدَاثِيَّةِ، وَالَّتي يُمكِنُ أَن نَخْرُجَ مِنْهَا بِنتائِجَ عِدَّةٍ، مِنها:

١- إنَّ **رورتي** وَبِقَدَرِ إخْلاصِهِ المُبَكِّر لِلّتَحليْلِيةِ، إلّا أَنَّه آسْتَطاعَ أَن يَكْسُرَ تِلكَ الصَنَمِيَّات؛ التَأسِيسيَّةَ وَ الإختِزالِيَّةَ، لِيَتَحَوَّلَ إلى نَاقِدٍ لِلتَحليْلِيّةِ، وَمُتَحَولاً صَوْبَ الخِطابِ البراغماتي، وَمُجَدِداً لِمَقولاتِهِ، وَمُنتَصِراً لِرِجالاتِهِ.

٢- يَتَلَخصُ مَشْرُوعُ **رورتي** اللّاتَأسيسيّ - فَهُوَ مَشْروعٌ نَقديٌّ بِالأَسَاسِ- بِـأَنَّهُ مَشْرُوعٌ ضِدِّيٌّ: ضِدَّ التَّصَورِ التَطابُقيِّ لِلّمَعرِفَةِ لِلعالَمِ الخَارِجيِّ (ضِدَّ المَرآويَّةِ)؛ ضِدَّ المَاهَويَّة الَّتي تَعتَقِدُ أَنَّ في العَالَمِ جواهِرَ وَماهياتٍ داخليَّةً يُمكِنُ كَشْفُها، وَأَنَّ الحَقيقَةَ تتَعَلَّقُ بِهَا لا بِمَا هُوَ ظَاهِرٌ أو ما يَبدُو؛ وَ هُوَ مَشْرُوعٌ ضِدَّ التَأسِيْسِ الَّذِي مَثَّلَه أَغلَبُ الفَلاسِفَةِ عَبر تاريخِ الفِكْرِ الغَربيِّ فَحاوَلَ أَن يَفتَحَ حَيِّزَ التَفَلسُفِ لِيصبَحَ مُحاوَلاتٍ إنفِلاقِيِّة لِلّمَعنى وَالهِرمينوطِيقا وَالخيالي.

٣- إنَّهُ يُحَاوِلُ تَحْقِيقَ تِلكَ المُعطَيات الآنِفَةِ (الضِّديَات) لِيَجعَلَ الخِطَابَ الفَلسَفيَّ أَكثَرَ مُرونَةً فَيُتَمِّمَهُ بِهَدَفِ الخُروجِ مِن قَسْريَّةِ الإبستِمولوجيا في المَعرفَةِ إلى الهِرمينوطِيقا وَالَّتي تُعْنَى بِالفَعاليَّة المُستَمِرَة لِلإنسانِ، عَلى خِلافِها مَعَ الأُولى.

٤- يَنتَقِدُ **رورتي** مَعاييرَ وَسَطوَةَ المَوضُوعِيَّةِ في المَعرِفَةِ لِيَعْكُسَ مَسَارَهَا نَحو التَضامُنيَّة وَ الَّتي تَعني أَن يَكونَ المِعيارُ مُجتَمَعيَّاً خَاصَّاً آتِّفاقِيَّاً مُؤَقتَاً. وَبِالتالي نِسبيَّاً. وَكُلُّ ذلِكَ يَعتَمِدُ عَلى قُدْرَةٍ إنشائيَّةٍ وَتَهذيبِيَّةٍ يتَمَتَعُ بِها الفَردُ لِيسنِدَ مَعْنَى كَينونَتِهِ مَع الآخرِ في تَضامُنٍ مجتَمَعيٍّ يَهدِفُ إلى إنجاحِ غَايةِ الآجْتِماع البَشَريِّ المُعَيَّن (الوَطني). وَبِذلكَ فهُوَ بِالضِدِّ منْ كُلِّ خِطاباتِ الكَونيَّةِ وَالشُمُولِيَّةِ.

وَيُمكِنُ أَنْ نَكشُفَ عَنْ مَكامِنِ الضُعْفِ، أو النَقْدِ في أُطروحَتِهِ، والتي مِنهَا:

١- يَرى رورتي أَنَّ قَضيَّةَ الصِدقِ لايُمكِنُ إعادَتها لِتَطابُقٍ أَو تَأسيسيَّةٍ واقعيَّةٍ أو في إطارِ نَظريَّةٍ في المَعرفَةِ وَالإشكال الّذي يُستنبَطُ عَنْ ذَلِكَ هُو: حِينَما يَعتَمِدُ رورتي البَديل فِي التَسويغِ الآجتِماعِيِّ المحادَثاتيِّ ألا يُقدمُ أطرافُ المحادَثَةِ مَعاييرهم في صِدقِ قَضيَّة أو عَدمها آعتِمادَاً عَلى تَطابُقيَّةٍ أو تَأسيسيَّةٍ يَنطَلِقُونَ مِنها؟ وَمِن ثُم تُحال لِلنقاشِ وَفي النهايةِ سَتَكونُ الغَلبة الحِجاجيَّة، إن

---

(٨٥) **رورتي**، ريتشارد، «نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة»، ص٨٩.

قبلتْ تلك الغَلبة، أصلاً، في فكر رروتي، لتكون قبولاً برؤيةٍ تطابقيّةٍ في الصدقِ أو ترسيخ لتأسيسيّةٍ جَديدة!!

٢- كيف للتضامنيّة والتهكميّة ان تدخل في محادثة او حوار أصلاً؟ وأُفصِّل الإشكال بالقولِ: كيف للتضامنيّةِ ان تخرج لعلاقات دولية او منظماتية خارج المحلية، لتنجح في تحقيق المصالح الوطنية- التي هي موضوع التضامن؟! وفي التهكم كيف له ان يكون جزءً من حوار يراد ان يخرج باتفاق اذا كان هنالك طرفا لايشعر بالمسؤولية والانتماء او الجدية والهدف الى الاتفاق؟؟ اعتقد أنَّ الحوار والاتفاق واي محاولة تسويغ داخله كما رغب بها رروتي لن تتحقق ابدا.

٣- حينما نتماشى مع الفرضية البراجماتية- والتي نؤمن بها- ان الفكرة هي محاولة لحل مشكلة ما، وكلما نجحت في تلك المهمة كانت صحيحة، فإنني اجد صعوبة قريبة الاستحالة مع النتيجة التي توقف معها رروتي في ان الفلاسفة يحترمون فكرة "غودو" اعتمادا عليها في انها رمزية لديمومة العطاء والجديد عبر الخيال! وهذه الصعوبة نابعة من ان مشاكلنا التي تحتاج لحلول اتفاقية، كيف لها ان تبقى رهينة خيال يمتاز بفرديته اصلا وكيف سيقدم بوصفه حلا، حسب الطريقة الرورتية؟ اعتقد ان الامر هنا سيعيدنا لوجوب اعتماد الية وبرنامج يقترب من التاسيس لنفهم هذه الشذرات الغنوصية في بعض منها. والحاجة تلك للتأسيس قد لاتكون غائبة في اصل اعتماد الخيال مع رورتي؛ ويبقى الامر شائك. وحتى امر الشعرية وكما اشار بعض النقاد انها امر يخالف ويناقض فكرة المصلحة والاتفاق على بعد اجتماعي تحالفي.. اننا امام ارباك في توظيفات رورتي.

abstract

Richard Rorty: about philosophy without mirrors.

Richard Rorty Richard McKay Rorty: U.S. philosopher; born in New York in 1931. Described as a relative pragmatist and post-modernist, the proportion of positions antibody of Constituent tendencies, and contributed to the representative views deduced from and mirror, and deduced from the all philosophies systemic. So his description of being a project of the philosophy of the philosophy after: any post-philosophies that are trying to establish a theoretical said work to find solutions and absolute cosmic in its interpretation of what was and must be, and died in 2007.

Work Rorty to accomplish path monetary sardonic: assesses the accidental prestigious deduced from the Permanent and continuous, and the tutor an article deduced from the cosmic, and the dialogue and pilgrims role substitute for assay and matching and mirror; she tracks: ways (training) Bildung, and process, and Hermenotiqih, working on diversity and deconcentration. And so, disclose ranges: metaphor, synthesis, and creativity. Between Dewey's pragmatism, and integration between data interpretation Heideggerian and Gadamerian, and dialogue acceptable of most underserved goals best. Rorty and support his ideas above division of Thomas Kuhn Bags and revolutionary science, also benefited from analytic philosophy and criticism.

And show the value of philosophy, when Rorty, after abandoning the model of assimilation and matching mirror, in turn towards the glorification of fiction and poetry and juncture Romantiqi. Work in the process of making ideas and new phases over the imperatives of the mind, as with the artist and his independence and pragmatic description and process goals in achieving the objectives of humanitarian rather than a philosophy attempt in fidelity to reality and accuracy.

At the same time, the critique of metaphysics who became the image of philosophy in the past two hundred years, and took teaches us money we can get and money could want